عمر المختار

الحلقة الأخيرة

من الجهاد الوطنى فى طرابلس الغرب

بقلم
أحمد محمود

الطبعة الأولى سنة ١٣٥٣ هـ

طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر



الحلقة الأخيرة

من الجهاد الوطنى فى طرابلس الغرب



الطبعة الأولى سنة ١٣٥٣ هـ

طُبِعَ بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر

الاهداء

الى أصدقاء البطل الشهيد السيد عمر المختار

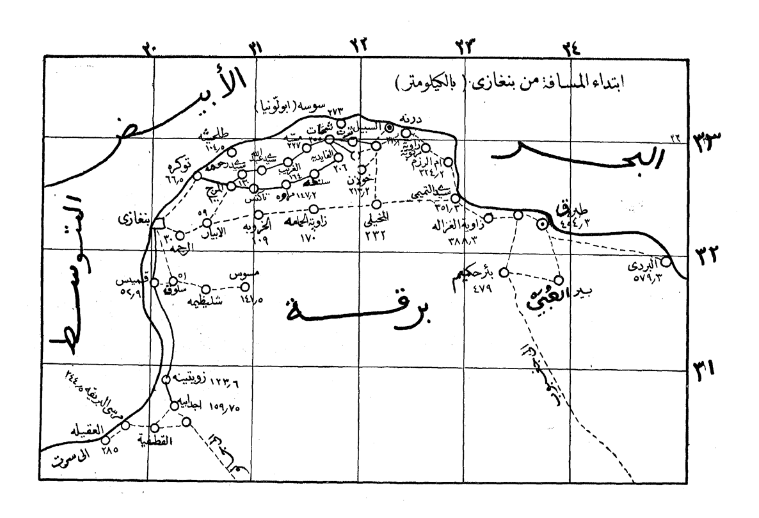
الى من له صلة بأولئك الأبطال الذين استشهدوا

معه في سبيل الله

أحمد محمود



المجاهد الكبير عمر المختار


ابتداء المسافة من بنغازي (بالكيلومتر)
البحر الأبيض المتوسط
برقة
سوسه (ابولونيا) ٢٧٣
درنه
السبيل
شحات
طلميثه ١٠٤,٥
توكره ٦٦,٥
بنغازي
المرج
تاكنس
مراوه ١٤٧,٢
الغريب ١٦٤
القايدية ٢٠٦
خولان ٢١٣,٢
ام الرزم ٣٢٤,٢
سيد التميمي ٣٥١,٣
الأبيار ٥٩
الخروبه ١٠٩
زاوية الحامه ١٧٠
المخيلي ٢٣٢
زاوية الغزاله ٣٨٨,٣
طبرق ٤٤٤,٣
البردي ٥٧٩,٣
بئر حكيم ٤٧٩
بير الغبي
الرجمه ٣٠
قمينس ٥٢,٩
سلوق ٥١
شليظيمه
مسوس ١٤١,٥
زويتينه ١٢٣,٦
اجدابيه ١٥٩,٧٥
مرسى البريقه ٢٤٤,٥
العقيله ٢٨٥
القطفيه
الى سرت
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٣٣
٣٢
٣١

تقديم الكتاب

للاستاذ عبد الرحمن عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد سألني مؤلف هذا الكتاب أن أقدم له بكلمة . وأول ما خطر لى هو شكر المؤلف على المجهود الذى بذله ليضع أمام الناس صورا من الجهاد المقطوع النظير فى العصر الحديث الذى قام به اخواننا الطرابلسيون فى وجه أمة مستعمرة بغت عليهم ، وتكاثرت بعدتها وعديدها

وليس الجهاد الطرابلسى هو صورة مما تتركه العقيدة الاسلامية فى نفس المسلم من إباء الضيم وطلب العزة وحب الحرية فحسب ، بل هو ايضا مظهر لما كمن فى النفس العربية ولازمها من الشجاعة والصبر والاعتداد بالنفس . ففى احدى وعشرين سنة لم ينقطع الجهاد فيها مابين حدود مصر وتونس فى وجه هذه الدولة العظيمة ظهرت آيات بينات لما تستطيع القلة فى العدد والعدة أن تفعله اذا آمنت بالله واحترمت نفسها وأبت أن تسام الخسف فى سبيل الرضا بالأمانى التى طالما منى بها المستعمرون فرائسهم الواقعة بين أيديهم

وكلما فكرت فى تعليل هذه الآيات البينات ملكتنى الحيرة ، حتى اذا

(ب)

ماذكرت كلمة جاءت عفوا على لسان زعيم امى من الأعراب لأحد القواد الطليان فى مجلس كان بيننا شعرت أننى وضعت يدى على سر هذه الآيات

كنا يوما مجتمعين للفصل فى نزاع شجر بين ضابط طليانى وضابط بدوى من فرقة المرحوم عبد العاطى الجرم. وكانت المناقشة لتسوية المسألة بينى و بين الجنرال ترديتى ، فقطع عبد العاطى علينا الحديث وقال : « اسمع ياترديتى ان هذا الرجل - يعنينى - جاءنا وقد جربناه وصدقنا باخلاصه ورجحان عقله ، وعلمنا معرفته للأمور أكثر منا فتبعناه ، وقد قال لنا انه صالحكم على الحرية والعدالة والمساواة ،ونحن والله لانفهم كيف يمكن أن نسوى أنفسنا بالروم - يقصد الطليان - فما أعجبنا منه ذلك ، ولكننا ثقة به رضينا بما رضى . والآن ضابطكم الذى هو تننتى - أى ملازم - يأبى أن يعطى التحية العسكرية لضابط منا هو أعلى رتبة منه ، فاذا ضربه لذلك فله كل الحق »

هذه العبارة ألقت فى نفسى فى الحال سر الجهاد العظيم الذى تقدم فيه هؤلاء الأبطال الى الموت باسمين . فان العقيدة الراسخة المتوارثة عن أسلافهم من العرب الفاتحين جعلتهم لايستطيعون أن يتصوروا الحياة فى ظل السيادة الأجنبية. ذلك تفسير تلك المقاومة العنيفة التى دامت احدى وعشرين سنة ، والتى تبادل فيها زعامة المجاهدين بطل بعد بطل حتى كان خاتمة الأبطال وخاتمة المجاهدين فى تلك البلاد العزيزة المرحوم عمر المختار شهيد الغدر وشهيد الوفاء : شهيد غدر الطليان به وقد وقع أسيرا فى

أيديهم طاهر الصحيفة ، لم يدنس تاريخه العسكرى بأى جريمة ولا عمل صغير مخالف لأصول الشرف ومقتضيات المروءة . وشهيد الوفاء لأنه لما ودعنا فى حلوان فى سنة ١٩٢٣ حين توجهه لجهاد ميئوس من نتيجته كان يقول : « ما الفائدة من العيش مهاجرا ذليلا ؟ يجب أن أعود لأموت ، وأؤدى بذلك آخر حق علىّ لله ولبلادى »

ومنذ أن فارقنا وهو يطلب الموت فى سبيل الله والانتقام من أعداء البلاد حتى لقيه بعد سبع سنين فى جهاد أتى فيه بالمعجز ، لقى الموت على حبل الطليان ، وما كان أكرم أن يلقاه بالقذائف كما تمناه بين زملائه الشهداء . وليس هذا ذنبه ، وانما هى النفوس الوضيعة التى لم تدرك مقدار ماسمت اليه نفس بطل العرب ، وانحطت الى الغدر والانتقام المرذول

فمؤلف هذا الكتاب حين اختص شهيدنا عمر المختار به يؤدى بعض ماوجب علينا جميعا نحو رجال عاشرناهم وأعجبنا بهم ، وصار حقا على المسلمين أن يجدوا فيهم المثل الحسن والقدوة الصالحة . وهو بذلك أيضا قد سجل من هنا ومن هناك وقائع مبعثرة فى فترة من تاريخ هذا الجهاد لولاه لبقيت مجهولة ضائعة كما بقيت الى الآن صفحات مطوية فيها أسرار هذه المقاومة ، وفيها أصدق تصوير لحقيقته

فعمر المختار كما قلنا هو خاتمة أبطال هذا الجهاد . وما لقى الطليان منه جزاء بغيهم هو جزء مما لقوا من عقوبة البغى

ولوأن كتابا كاملا أحاط بوقائع الجهاد ، وأطوار السياسة ، وأشخاص الرجال يجمع لنا شتات الحوادث منذ ابتدأت بالمفاجأة الغادرة لمدينة طرابلس فى شوال سنة ١٣٢٩ الى أن قتل السيد عمر لأمكن لقراء العربية وغير العربيــة أن يستعرضوا أمام أعينهم طائفة من الجنود المجهولين والأبطال المغمورين بالنسيان ممن كانوا أعمدة هــذا الجهاد ، وممن مهدوا لظهور عمر المختار فى الجبل ، ولـكان هذا الـكتاب سجلا تتصفح فيه الشعوب العربيــة عظمة جنسها ، ويرى فيه المسلمون أثر تعاليم نبيهم محمــد ﷺ بل لرأت فيــه الأمم الأخرى كيف يدفــع الأحرار ثمن الحرية ، وكيف يبخسون فى مهرها كل غال . بل لو أن كتابا كهذا ظهر للناس لحق على الناشئة من عرب طرابلس أن يرفعوه راية لهم بين الشعوب تبقى أبد الدهر ترفع من مكانتهم وتظل ماانطوت عليه نفوس آبائهم من العزة والاباء

فللمؤلف لاشك الفضل الأول فى تنبيه الأذهان الى تدوين الحوادث فاننا لانعرف فى تاريخ المسلمين جهادا مشــكورا مجهولا كهذا الجهاد

فهذا الـكتاب هو الحلقة الأخيرة من سلسلة الجهاد فى طرابلس الغرب ، و بطله هو بطل هذه الحلقة . ولو استطاع المؤلف أو غيره أن يصل حلقة بحلقة حتى يتم العقد لبان لنا فضل السابقين كما أظهر هذا الـكتاب فضل اللاحقين . فلولا فريق اعتصم به أنور باشا فى منطقة بنغازى وفتحى بك فى منطقة طرابلس لما كان دور السنوسية وعلى رأسها بطل العرب والاسلام السيد أحمد الشريف السنوسى فى برقة . وذلك الدور العظيم الذى كان فيــه

السيد أحمد مثلا من بقية الصحابة،وقدوة للمجاهدين أخرجت عمر المختار وأمثال عمر المختار فى برقة ، ولما كانت تلك الحلقة من الجهاد التى أخرجت امثال الشيخ سليمان البارونى والشيخ محمد سوف والشهيد محمد ابن عبد الله البوسيفى. ولولا هؤلاء جميعا فى الغرب والشرق وثبات السيد أحمد الشريف وصبره وتدينه لما كانت نهضة سنة ١٩١٥ ولما كانت واقعة قصر بوهادى ولا واقعة القرضابية ، ولا ماترتب عليهما من ثورة عامة أنقذت البلاد كلها تقريبا من مخالب العدو بعد أن وقعت فريسة له.ولولا هذا الدور وما ولد فيه من رجال شداد ذوى عزم أمثال رمضان السويحلى والصويعى الخيتونى والمختار كعبار والمبروك المنتصر ، والشيخ محمد هويسه والمجاهد الشهيد خليفة بن عسكر، والسيد المهدى السنى وغيرهم من الجنود المجهولة لما كان الدور الذى تلاه ، والذى قام فيه بعبء الدفاع عن البلاد رجال يمثلون الدولة العثمانية مثل نورى باشا واسحاق باشا . وعبد الرحمن نافذ باشا وغيرهم من الضباط الأتراك ، ومثل الشهيد ابراهيم عوض [1] والشهيد عبد الحليم حمدى[2] وأحمد منصور وغيرهم من صف ضباط والعساكر المصريين الذين أدوا فريضة الجهاد مشكورين

---

(١) استشهد بارفله مع رمضان بك السويحلى

(٢) استشهد بالزاوية فى زمن اسحاق باشا

هذا الدور الذى استمر الى نهاية الحرب العامة حيث كان عند انتهائها على رأس حكومة البلاد الطرابلسية الأمير عثمان فؤاد حفيد السلطان مراد والقائد الأعلى للقوات الافريقية [1]. وكان لى الحظ أن أكون مستشارا لهذه الحكومة وللقيادة العليا الافريقية . وبانتهاء الحرب العامة ظهرت الجمهورية الطرابلسية . وأعقبتها فى ادارة البلاد هيئة الاصلاح المركزية التى تولى رئاستها أحمد بك المريض وكان عمادها فى الشرق أحمد بك السويحلى ، وفى الغرب كثير من الرجال المخلصين أمثال المختار بك كعبار

(١) كان من أبطال هذا الدور البارزين، والعامل القوى فى بث روح النظام، وايجاد حكومة عربية هو الأستاذ عبد الرحمن عزام . فقد جاء البلاد والحرب على وشك الوقوع بين مصراتة وترهونة ، فمازال يسعى بين الفريقين بالخير ويدعو الى السلم حتى كلل الله مساعيه بالنجاح ، ودفع الله عن البلاد شرا لولاه لزهقت فيه أرواح كانت البلاد أحوج ما تكون اليها فى دفع العدو

وكان له الفضل الأكبر فى تأسيس الجمهورية الطرابلسية فى نوفمبر سنة ١٩١٨ وكان الأمير عثمان اذ ذاك موجودا فى طرابلس . ولما انتهت الحرب الكبرى ووقع الصلح بين الدول المتحاربة صدر أمر الى الأمير عثمان بالسفر الى الاستانة ، وكان الأستاذ عبد الرحمن عزام مستشارا له، وقد ساءه أن تنسحب الحكومة العثمانية بدون أن تكون للبلاد حكومة تدير شؤونها، فاقترح على الأمير عثمان أن تشكل فى البلاد حكومة قبل سفره تنتهى اليها الكلمة وتتولى أمور الحرب . ورغم مالاقاه من المعارضة من الضباط الأتراك فقد تغلب عليهم بحذقه واستصدر أمرا من الأمير عثمان بذلك ، وتم له ما أراد وشكلت الجمهورية فى نوفمبر سنة ١٩١٨

والحاج محمد فكيني وخالد بك القرقني وغيرهم . وقد كان للحلم وسعة الصدر اللذين تحلى بهما رئيس هذه الهيئة أحمد بك المريض الفضل فى مداومتها للجهاد فى وجه السنيور موسوليني وحملاته المتتابعة

كل هذه الأدوار مهد بعضها لبعض وهيأت فى برقة لظهور بطل هذا الكتاب الشهيد عمر المختار

وانا لنرجو أن نكون فى هذه المقدمة قد فتحنا أذهان الكتاب الطرابلسيين وأبناء هذا الشعب الباسل المجاهد الى واجبهم فى التنقيب عن

وكان الأستاذ عبد الرحمن عزام يريد أن يسافر مع الأمير عثمان بحكم وظيفته لأنه مستشاره، ولكن ما أبداه من نشاط وحسن تدبير حبب فيه الرؤساء، فرأى رمضان بك السويحلى أن من مصلحة البلاد ألا تحرم من خدمات الأستاذ عزام فاستبقاه معه وسافر الأمير عثمان ومن معه الى الاستانة، و بقى الأستاذ عبد الرحمن عزام فى طرابلس عاملا مجدا الى أن حصل صلح بنياد سنة ١٣٣٧ وقد ظهرت مواهبه فى وضع القانون الأساسى ، وانتزع من بين أنياب الطليان ذلك القانون الذى لو تمكنت البلاد من العمل به لما وقعت فى هذه الهاوية السحيقة

وحسنات الأستاذ عبد الرحمن عزام فى الحرب الطرابلسية لاتفى ببعضها هذه العجالة ، ولكن ذكرنا بعضها لمناسبة ماذكره فى مقدمته من بعض الأدوار التى مرت فيها الحرب الطرابلسية

المؤلف

آ ثار آبائهم واخوانهم وتسجيلها فخرا لهم ولأمتهم، ولتبقى وصمة فى جباه الذين اعتدوا على بلادهم الآمنة وسلبوا أرضها ، وشردوا أهلها حتى هبط عددهم فى عشرين سنة من مليون ونصف الى ستمائة الف ، كما أنا نرجو أن تكون بقية السيف أكثر عددا، وأن يبارك الله فى هذه البقية فتتكاثر وتعتز وتتحرر ، وتبقى طرابلس فى الأمة العربية فى المكان العزيز الذى يليق بالابن الكريم البار

عبد الرحمن عزام



المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاهد لاعلاء كلمة الحق فكانت كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا

أما بعد فان من مبادىء الدين الاسلامى أن يعلم معتنقيه اباء الضيم والذود عن حياض الشرف والكرامة ، وقد تسابقت فى هذا الميدان رجالات من بين الشعوب التى تشرفت باختيار الاسلام دينا فحازوا فيه قصب السبق ، واقتعدوا غارب المجد بين أممهم فكانوا رمز البطولة ومقياس العظمة ، وكانت لهم أسمى منزلة لدى جميع الأمم لاينكرها الا مكابر أو من لايريد أن يعرف الحقائق

٢

وقد كان لظهورهم فى فترات من الزمن أثر فى انهاض النفوس وحفزها الى العمل ، وفى يقظة الشعوب مما ألم بها من الاخلاد الى الراحة وخفض العيش

ولم يخل الوجود من هذا الطراز منذ أن تعارفت جماعات البشر وتكونت شعوبا وقبائل ، ولكنهم كانوا أبرز ما يكونون ظهورا منذ أن أظل الاسلام هذا الوجود وغذاه محمد ﷺ بتعاليمه السامية

وليس فى مقدور أى انسان أن ينكر كثرة هذا النوع فى الأمم الاسلامية فى مختلف بقاع الارض ، ولكن كثرة أعدائهم ، واستيلاء الفرنجة عليهم ، وتسابق المستعمرين الى اذلالهم والقضاء عليهم ، كل هذا ومثله وأكثر منه حال دون معرفة كثير من الناس لكثير من هؤلاء الأبطال الذين ولدتهم الأمم الاسلامية و برزوا فى الدفاع عنها والأخذ بها الى ميادين الشرف وحماية الحوزة

وقد يكون الواحد من هؤلاء الابطال رجلا عاديا بين قومه ليس له أكثر مما لرئيس الاسرة بين أفرادها ، ولكنه اذا جد الجد وحزب الامر رأيت من تلك النفس الهادئة الأسد الهصور والقائد المحنك والشجاع الذى لايهاب الموت ، فيخوض غمار الحوادث مهما عظمت بنفس مطمئنة راضية ، لا لأجل نفسه ، ولكن لأمته ودينه ، وأحب ما لديه ـ اذا لم يصحبه التوفيق ـ أن يفارق هذه الحياة التى لم يتح له فيها أن يقيل أمته من عثارها

وأكثر ما يكون هؤلاء الابطال ظهورا اذا اعتدى على كرامة أممهم أو أوطانهم ، فعند ذلك يبرزون بروز الربيع فى أرض مخصبة قد جادها الغيث

وان أكبر اعتداء وقع فى القرن الرابع عشر هو اعتداء الطليان على طرابلس الغرب فقد هاجموها بجيوشهم وأساطيلهم وطياراتهم ، وقتلوا الآمنين ، ومثلوا بالزعماء ونالوا مما لاينال منه من يحترم الحقوق البشرية

وقد نهض فى وجوههم الطرابلسيون ودافعوا بكل وسيلة تدفع حتى العصى والحجارة، وقد استمروا على هذا الدفاع اثنتين وعشرين سنة، وقد ظهر خلال هذه المدة أبطال اشتهروا بالاخلاص فى دفاعهم ونزاهة النفس. ومن أشهرهم السيد أحمد الشريف ، ورمضان بك السويحلى ، والسيد عمر المختار ، والشيخ سليمان البارونى ، واحمد بك المريض ، ومحمد سعدون السويحلى[1] ، والشيخ محمد سوف[2] ، والشيخ خليفه بن

---

(١) توفى محمد سعدون السويحلى يوم الجمعة ١٧ رمضان سنة ١٣٤٢ فى معركة كانت حامية الوطيس فى المشرك (مكان بأراضى مصراته) وكان قائد الجيش الوطنى وقد قتل تحته يوم موته جوادان وأبلى بلاء يندر وجود مثله. ونقلت جثته ثانى يوم المعركة ودفن بالسدادة عند منتهى وادى نفد باراضى اورفله عليه رحمة الله

(٢) ولد الشيخ سوف المحمودى فى سوف تبم الحزالر سنة ١٢٧٤ وكان بطلا من أبطال الحركة الوطنية بطرابلس وكثيرا ماقاد الجيوش وحضر المعامع ، وله مواقف فى البطولة يندر وجودها لغيره من أبطال العرب ، ولا تجد عضوا من أعضائه الا وفيه جرح من رصاصة أو سيف . ولما أن تغلبت ايطاليا على الحركة

عسكر ، والسيد محمد بن عبد الله البوسيفى ، وعبد العاطى الجرم [1] ، واحمد سيف النصر ، والحاج محمد فكينى ، وغيرهم كثير

ولسنا بصدد تخليد ذكرى هؤلاء الأبطال جميعا فان الظروف غير مهيأة لذلك ، ولكن الذى يهمنا الآن هو تخليد ذكرى آخرهم عهدا بهذه الحياة ، ومن لاتزال روحه الطاهرة ترفرف على الجبل الاخضر ببرقة لتطل من الملأ الأعلى على بقايا تلك الأجساد الممزقة فى سبيل الله وانقاذ الوطن وهو السيد عمر المختار

ولا يكفى ما فى هذه النبذة القليلة لاثبات ماللامة الطرابلسية من فخر فى جهادها الوطنى الذى استمر اثنتين وعشرين سنة ، فعلى شباب الأمة وشيوخها أن يتضافروا على جمع ما تشتت من أعمالهم الخالدة فى بطون الأيام، ليظهروا للعالم تاريخا حافلا بحوادث الحرب الطرابلسية الخالدة

أحمد محمود

...

الوطنية فى سنة ١٣٤٠ هاجر الى القطر المصرى وتوفى فى المتراس (قرية بقرب الاسكندرية) يوم الثلاثاء ١٩ صفر سنة ١٣٤٩

(١) مات عبد العاطى الجرم فى جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ متأثرا بجراحه فى معركة يوم السبت بمصراته

عمر المختار

نسبه ونشأته

هو عمر بن المختار من قبيلة المنفة من أكبر قبائل بادية برقة بطرابلس الغرب . ولد فى البطنان ببرقة سنة ١٢٧٧ من أبوين عربيين. وكفله أبوه وعنى بتربيته فنشأ فى بيت عز وكرم بعيدا عن أخلاط المدن ونقائصها ، تحوطه شهامة العرب وحرية البادية ، وحوله من مظاهر الفروسية ودواعى الاعتزاز بالنفس مابعث فى تلك النفس الكبيرة حب التضحية والأنفة من الخضوع الى من لم يجعل له دينه سلطانا عليه

تعلمه القرآن والعلوم

واذ كان السيد عمر صبيا كان السيد محمد المهدى السنوسى رحمه الله صاحب الجاه العريض والسلطان النافذ فى برقة، وكان يقيم فى الجغبوب. وما كاد السيد عمر يبلغ السن التى تؤهله لحفظ القرآن (١) حتى بعث به والده المختار الى زاوية السنوسية بالجغبوب ليقرأ فيها القرآن وما تيسر من العلوم . وقد ظهر عليه من دلائل النجابة و رزانة العقل مالفت نظر

(١) ذكر السيد عمر أمام المحكمة التى حكمت عليه بالاعدام أنه تربى على يد السنوسية منذ كان عمره ١٦ سنة

السيد المهدى اليه فصار موضع اهتمامه ، وأحله من عنايته المحل الاول

مبدأ ظهوره

وكان من حسن حظ السيد عمر أن كانت له تلك المنزلة المشرفة عند السيد المهدى فما كاد يتم حفظ القرآن ودراسة بعض العلوم حتى شاع ذكره وتناولته الألسن بالثناء ، واحترمه رؤساء قبائل العرب لعراقة بيته فيهم ولمكانته عند السنوسية

وكان شيخه فى القرآن السيد الزروالى المغربى الجوانى . أما أستاذه فى العلوم فهو الاستاذ العلامة الأديب السيد فالح بن محمد بن عبد الله الظاهرى المدنى صاحب التعليقات على « المنهل العذب تاريخ طرابلس الغرب »

اسناد الوظائف اليه

و بعد أن حفظ القرآن وأتم دراسة علومه بزاوية الجغبوب على من ذكرنا ولاه السيد محمد المهدى شيخا على « زاوية القصور » بالجبل الأخضر بقرب المرج ، فقام بتعليم أولاد المسلمين واكرام من يأوى الى تلك الزاوية من الفقراء وعابرى السبيل ، وفض المنازعات بين قبائل العرب والسعى فى مصالحهم . وسار فى الناس سيرة مدحه عليها العقلاء ، وأغمضت مهابته عيون غيرهم ، واحترمه الناس لفضله البادى فى كل ناحية من نواحيه

وكان اختيار السيد عمر شيخا لزاوية القصور لغرض سام لم ير السيد المهدى رجلا أهلا لتحقيقه الا السيد عمر المختار لدماثة أخلاقه وصلابة عوده . ذلك أن زاوية القصور فى حوزة قبيلة العبيد . وهذه القبيلة اشتهرت بشدة الشكيمة ، وظهر فيها أفراد صعب مراسهم ، وأغرتهم التربية الاستقلالية ودواعى الشباب بما تأباه العقول الراجحة والمفكرون فى عواقب الامور ، فكان الذى فى امكانه أن يروض هذه النفوس الجامحة ، والذى أهله سمو أخلاقه لسياسة هذه القبيلة التى كثر فيها المتمردون على ماعتاد العرب احترامه ورعاية جانبه هوالسيد عمرالمختار. ولقد أثبتت الأيام حسن هذا الاختيار من السيد المهدى ، فكان عمر المختار مختارا بكل ماتؤديه هذه الكلمة من معنى

أما لقب السيادة فقد ناله من انتسابه الى السنوسية لأنهم هم الذين يخصهم أهل برقة بلقب « الأسياد » ولا يطلق على غيرهم الا اذا نال رضاهم وكان محل ثقتهم كالسيد عمر

ثقة السيد المهدى به

وقد عرضت للسيد المهدى أمور اقتضت سفره الى السودان فكان أول من وقع عليه اختياره لمرافقته فى هذا السفر الشاق الطويل هو السيد عمر المختار ، فسافر الى السودان صحبة أستاذه فى أواخر سنة ١٣١٢ وكان محل ثقته ومعقد آماله . وكان السيد المهدى معجبا به ،

وكان يثني عليه بما هو أهله حتى كان يقول : «لو كان عندنا عشرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم » . وولاه السيد المهدى فى السودان شيخا لزاوية « كلك » واستمر بالسودان نائبا عن السيد المهدى وقائما يبث الدعاية الاسلامية وتعليم أولاد المسلمين الى أن رجع الى برقة سنة ١٣٢١ وتولى شيخا لزاويته القصورة للمرة الثانية واستمر يدير شؤونها الى سنة ١٣٢٩ حيث احتل الطليان بنغازى فكان أول من لبى نداء الوطن و باشر الجهاد بالسيف والمدفع .

جهاده لانقاذ الوطن

هاجم الاسطول الايطالى مدينة بنغازى يوم الاربعاء ٤ شوال سنة ١٣٢٩ ، وأطلق عليها مدافعه صباح يوم الخميس الذى بعده ، وهب الناس للدفاع عن وطنهم ولرد هذا الاعتداء الفظيع الذى لامبرر له ، وجاء سكان البادية بخيلهم ورجلهم ليقفوا الى جنب اخوانهم سكان مدينة بنغازى للدفاع عن الوطن . وما فتئ الاسطول الايطالي يرسل صواعقه على مدينة بنغازى حتى احتلها الجند الايطالى وخرجت القوة العثمانية والمجاهدون الوطنيون الى ضواحى المدينة حيث لا تصلهم قنابرالاسطول (١) ، وهناك أقاموا خط الدفاع وكونوا لأنفسهم جبهة وقفت دون تقدم العدو لسنوات عدة

(١) القنابر جمع قنبرة وهي قذيفة المدفع. وقد رسمناها قنبرة بالراء تبعا لاختيار الأمير شكيب أرسلان، فانه رجح أن المناسب للاستعمال العربى هو « قنبرة » لا « قنبلة »

وكان فى مقدمة رؤساء القبائل الوافدين للدفاع عن الوطن السيد عمر المختار ، وكانت له وقائع مشهودة ومواقف محمودة و بلاء فى العدو بمن معه من المجاهدين أكسبه رضاء القواد الأتراك ورؤساء الجيش ، وكانت المنطقة التى يتولى حراستها السيد عمر المختار أمنع من جبهة الأسد

السيد عمر وعزيز بك المصرى

ونكتفى أن نورد هنا ماذكره الأمير شكيب أرسلان بشأن النزاع الذى حصل بينه و بين عزيز بك المصرى

قال الامير شكيب فى حاضر العالم الاسلامى جـ ٢ ص١٢٤ و ١٢٥ الطبعة الثانية ما نصه :

«ولما نشبت حرب البلقان ألح الأتراك على أنور بالرجوع الى الاستانة فرجع مكرها وسلم القيادة الى عزيز بك المصرى الذى واصل قتال الطليان. ثم لما عقدت الدولة الصلح مع ايطاليا سنة ١٩١٢ رأى عزيز بك نفسه مضطرا الى ترك القتال فسحب العسكر النظامى الذى كان فى برقة وكانوا زهاء أربعمائة وأخذ الأسلحة التى أمكنه أخذها وسار قاصدا الحدود المصرية . وهو بهذا لم يعمل الا بحسب الأصول الدولية ، ولكن المجاهدين السنوسيين نقموا عليه أن عطل المدافع التى بقيت عندهم ودفن القراطيس والقذائف فى الارض ، وهذه روايتهم التى رووها لجميع الناس وحرروها وقدموها الى الاستانة والله أعلم بها

ثم ان عزيز بك أبى أن يسلم العرب البنادق التى مع عسكره وذلك وفقا للاصول الحربية التى تقضى بعد انعقاد الصلح بين تركيا وايطاليا أن لايسلم العسكر العثمانى أسلحته لأعداء ايطاليا . ولكن العرب لم يقبلوا هذا العذر أيضا ، ولم يفهموا كيف أن الدولة بعد أن عقدت الصلح مع ايطاليا مكرهة مرغمة بسبب حرب البلقان تعود فتسحب هذه القوة الضئيلة التى كانت باقية لها فى برقة ثم تأبى أن تترك لهم البنادق التى كان يحملها الأربعمائة عسكرى الذين مع عزيز بك ، ولذلك أصروا على عزيز بك فى تسلمهم البنادق وبدأوا أولا معه بالجدال وانتهوا أخيرا الى الجلاد ، فوقعت حادثة مؤسفة مؤلمة نرى من واجبات الأمانة التى تلزم المؤرخ عند ذكر الوقائع ألا ندعها مسكوتا عنها كيف كان الخطأ فيها .

وذلك أن الأعراب بجهلهم عند ما قطعوا أملهم من تسلم البنادق بالرضى أطلقوا الرصاص على العسكر العثمانى وكان قد خيم فى دفنة غربى السلوم ولم يبق الا أن يصل الحدود ، ولعلهم قتلوا أو جرحوا بعضا من العسكر ، فأمر عزيز بك بمقابلتهم بالمثل فنشبت معركة سقط فيها أكثر من ستين قتيلا من العرب وبضعة عشر قتيلا من الجند . وعند ذلك امتد صريخ العرب بعضها الى بعض وأقبلت من كل صوب تريد الانتقام من عزيز بك وعسكره . وهذا كله فى دفنة والاراضى المسماة بالبطنان . وأخذت العرب تجتمع لمهاجمة الجند النظامى . وكان السيد أحمد الشريف السنوسى فى الجبل الأخضر وقد سفر الجو بينه وبين عزيز بك المصرى بسبب

سحب هذا العسكر النظامى وتخليته لبرقة، ولكنه لم يكن ليرضى بأن تكون النهاية قتل المسلمين بعضهم بعضا وأن يوقع العرب بجند الدولة التى كانت تحافظ على بلادهم . فأرسل السيد السنوسى الأكبر الشهيد السيد عمر المختار لتلافى الشر ومنع الأعراب من الهجوم ، فقطع عمر المختار مسافة أربعة أيام فى يوم واحد مواصلا الا غذاذ الى أن أدرك العرب قبل هجومهم ، فحجز الشر وأبلغهم ما فى مقاتلة عسكر الدولة من الفضيحة والشماتة وسوء القالة وسد أبواب عواطف الدولة على عرب طرابلس، ومازال بهم حتى أقنعهم بأمر السيد السنوسى أن يتركوا ثأرهم و يعدوا هذه الواقعة كأنها لم تكن ، وفى مقابلة ذلك أخذلهم ، فيما سمعت ، البنادق التى كانت مسألتها هى سبب الشر الذى وقع . ولكن عزيز بك على المصرى وصل الى مصر ثم الى الاستانة وقد امتلأ صدره وغرا على السنوسية كما أنهم هم أيضا قدموا الشكوى بحقه الى الدولة بعد أن صار أنور ناظرا للحربية ، واتهموه بأشياء كثيرة أحالته الدولة من أجلها الى المحاكمة ثم خلت بعد ذلك سبيله بشرط أن يغادر تركيا الى مصر وطنه فى خبر ليس هذا محله لأنه يتعلق بموضوع الحركة العربية على تركيا أكثر مما يتعلق بطرابلس الغرب »

وقد استمر السيد عمر فى جهاده الى أن عقدت معاهدة الزويتينة بين الانجليز والطليان من جهة ، و بين السيد ادريس من الجهة الأخرى و وضعت الحرب أوزارها فى برقة فرجع السيد عمر الى بيته واشتغل بشؤونه الخاصة

كيف وقعت معاهدة الزويتينة ؟

فى سنة ١٩١٦ أوفد السيد ادريس ـ وكان اذ ذاك مقيما باجدابية بالنيابة عن السيد أحمد فى حكم برقة ـ السيد عمر المختار والشيخ خالد الحرى والشيخ ابراهيم المصراتى وكلفهم بالاتصال بمعسكر نورى باشا الذى كان وقتئذ نازلا بالبطنان على مقربة من خليج البنبة لينصحوا له بعدم الحركة مرة أخرى على الحدود المصرية ، وليراقبوا حركات نورى باشا العسكرية بحيث لا يسمحون له باستمرارها ضد الانكليز . وكانت حالة المعسكر سيئة وفى أشد الاحتياج . وكان قد وصل الى السيد ادريس بطريق الغواصة نحو سبعين ألف جنيه تركى من الحكومة العثمانية وأسلحة وأشياء أخرى لتوصيلها الى نورى باشا فأخذها لنفسه . فرأى نورى باشا أن أعمال السيد ادريس هذه تقتضى الذهاب اليه والتفاهم معه مشافهة ، فذهب اليه ومعه الاستاذ عبدالرحمن عزام ومحمد بوجبريل واجتمعوا به فى اجدابية ـ وكان ذلك فى أوائل صيف ١٩١٦ ـ ليسووا معه هذه المسائل . وبقى السيد عمر ومن معه فى معسكر نورى باشا فى انتظار أوامر السيد ادريس . ولما وصل نورى باشا ومن معه الى اجدابية لم يستطيعوا التفاهم مع السيد ادريس ، وظهر منه التمسك برأيه

فى وجوب عدم تجديد الهجوم على الحدود المصرية ، وعدم تسليم أى شىء مما جاءت به الغواصة مما ذكرناه آنفا باسم نورى باشا

وقبل مغادرتهم لأجدابية جاء وفد من الانكليز والطليان فيه الكولونيل طولبت الانكليزى والكولونيل ديتا الطليانى ومعهم أحمد بك حسنين والسيد محمد الادريسي وابنه الميرغنى ، فالتقى بهم السيد ادريس فى الزويتينة ، وكانت مهمة هذا الوفد مفاوضة السيد ادريس فى ما يتعلق بعدم الهجوم على الحدود المصرية من ناحية الانجليز ، وايقاف الحرب فى برقة من ناحية الطليان . فدعا معه الاستاذ عبد الرحمن عزام ليشترك معه فى مفاوضة هذا الوفد

وكانت فكرة الاستاذ عبد الرحمن عزام هى استمرار الحرب فى برقة ضد الطليان واستئناف الهجوم على الحدود المصرية ضد الانكليز ، فأظهر التشدد فى المفاوضة مع الوفد وسعى لاحباطها بكل الوسائل رجاء أن تفشل ويستأنف القتال . ولكن هذا التشدد من الاستاذ عزام لم يرق فى نظر السيد ادريس، وكان على خلاف رغبته فى نجاح المفاوضات، فأعاد الاستاذ عبدالرحمن عزام الى أجدابية، وعقد مع الوفد معاهدة الزويتينة بنفسه بدون استشارة ممثل الحكومة العثمانية فى برقة وهو نورى باشا اذ ذاك، وترتب على هذه المعاهدة كل سياسة المعاهدات فى برقة ، سواء فى عكرمة أو الرجمة أو بو مريم ، وسياسة المهادنة للانكليز والطليان ، بعد هذا كله لم ير نورى باشا بدا من الرحيل عن برقة ، فرحل هو والاستاذ

عبد الرحمن عزام الى مصراتة لاستئناف القتال هناك باسم الحكومة العثمانية ، وتفرق جيش نورى الذى أشرنا اليه آنفا بما فيه من الضباط والعساكر المصريين والطرابلسيين والأتراك ، واستحال تجديد الهجوم على الحدود المصرية وكان غرضا أساسيا لوجود نورى باشا فى برقة ، وبهذا ازداد سوء التفاهم بين الحكومة العثمانية والسيد ادريس ، وجر كذلك الى سوء تفاهم عظيم بينه و بين ابن عمه السيد أحمد الشريف الذى ظل مواليا لفكرة الجهاد وللدولة العثمانية الى أن توفى عليه رحمة الله(١)

(١) توفى السيد أحمد الشريف بالمدينة المنورة قبيل ظهر يوم الجمعة ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٥١

السيد عمر فى الجبل الاخضر

هذا الدور من أهم أدوار السيد عمر فى الحرب الطرابلسية وأشقها . وقد تقدمته أحـداث رأينا من المناسب الاشارة اليها لما لهـا من الأثر الواضح فى الحرب الطرابلسية

كان قد حصل جفاء بين أهل برقة وطرابلس منشؤه الخلاف القائم بين السنوسية و رمضان بك السويحلى[1] أدى الى وقوع حوادث بين الطرفين.

...

(١) قد ذهب الناس فى أسباب هذا الخلاف مذاهب تختلف بحسب ماوصل الى علم كل من الناحية التى اتصل بها . ونحن نذكر هنا أصح مااتصل بنا من أوثق المصادر

لما وقع الصلح بين الحكومة العثمانيـة وايطاليا بشأن طرابلس سنة ١٣٢٠ وانتهت الحرب فى طرابلس لم يرض السنوسيون بهـذا الصلح واستمروا على الحرب فى برقـة . وقد أرادوا أن تستأنف الحرب فى طرابلس فأرسلوا السيد صفى الدين الى سرت ، وكان من ضمن أعماله أن أغار على ابل مصراتة وأخذها بحجة أن أهلها « متطليون »

وقد أخذ رمضان بك السويحلى يفكر فى الاتصال بالسيد صفى الدين منذ أن سمع بقدومه الى سرت . ولمـا وقعت الاغارة على ابل مصراتة اتخذ هـذا الحادث وسيلة الى تنفيذ فكرته ، وطلب من الحكومة أن يذهب الى السيد صفى الدين ليتفاهم معه فى ارجاع الابل فأذنت له وذهب

وقد رأى محبو الاصلاح من الطرفين أن يسعوا فى الاتفاق وازالة ما علق بالنفوس . وما ان ابتدأوا سعيهم حتى وجدوا ميلا من الطرفين سهل عليهم مهمتهم ، فتألف وفد برقة من الشيخ صالح الاطيوش ، والشيخ نصر الاعمى ، والشيخ خالد القيصة ، والشيخ صالح السنوسى بن عبد الهادى البرانى

فى أربعين فارسا . ووجد الناس من ذهاب رمضان مشجعا لهم على الالتحاق بالسيد صفى الدين فالتحق به أناس كثيرون وسرت فى الناس روح النشاط الى الثورة وأخذ بعض الناس السلاح من الحكومة الايطالية بحجة المحافظة على أموالهم من هؤلاء المغيرين . وبعد وصول رمضان بك السويحلى الى السيد صفى الدين بيومين هجم الايطاليون على السيد صفى الدين وحصلت معركة اشترك فيها رمضان بك ومن معه وقتل فيها بعض رفقائه وجرح أخوه أحمد بك وآخرون . وقد خاف رمضان بك أن يسبقه الخبر باشتراكه فى المعركة الى ايطاليا فتقتل أهله واخوته فى مصراته ، فأسرع بالرجوع اليها . ولما سأله الطليان عما وقع أنكر حضوره المعركة وأكد لهم أنه وصل بعدها بيومين وأن رفقاءه انما تخلفوا لأجل تخليص الابل من المجاهدين لأنهم اقتسموها قبل وصولهم، وأنه لم يمت ولم يجرح منهم أحد ، وقد استدعته حكومة طرابلس لتسأله عن هذا الحادث فأجابها بما تقدم. وقد تغير نظر الطليان بعد هذا الحادث الى رمضان ، واعتقدوا أن له تأثيرا على السنوسية فكلفوه بأن يذهب على رأس جيش لمحاربة صفى الدين ان أبى الصلح وهددته بالنفى الى ايطاليا ان لم يفعل ، فرضى بذلك واعتزم أن يستعمل هذا الجيش ضد الايطاليين . وتألف

وتالف وفدطرابلس من أحمد بك السويحلى ، والاستاذ عبدالرحمن عزام ، وعمر أبى دبوس ، ومحمد نورى افندى السعداوى ، والشتيوى ابن سالم ، والصويعى الخيتونى ، والحاج صالح بن سلطان

واجتمع الوفدان فى سرت فى شهر جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ و بعد

هذا الجيش من أكثر القبائل الطرابلسية ، وكان رمضان بك رئيسا على مصراتة ، وعدد هذا الجيش أربعة عشر ألفا برياسة الكولونيل اميانى. وقد استغرق وصول الجيش الى سرت بعد اجتماعه نحو ستة أيام اتصل فى أثنائها رمضان بك بالسيد صفى الدين وأفهمه أنه مصمم على محاربة الطليان. وقد رفض السيد صفى الدين ماعرض عليه من الصلح بناء على هذه الفكرة. ونشبت المعركة بين الفريقين وانتقض رمضان بك على الطليان وركب أقفيتهم فانهزموا شر هزيمة. وهذه الواقعة تسمى «واقعة القرضابية» وكانت يوم الخميس ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٣

الى هنا يرى القارىء أن علاقة رمضان بك بالسادة السنوسية علاقة مودة وتعاون وتناصر ، وأنه هو البادىء بطلب مودتهم والانضمام اليهم فى قتال العدو . وما كاد خبر هذه المعركة يصل الى مصراتة وأن رمضان بك انضم الى السيد صفى الدين حتى انبرى الطليان الى أهالى مصراتة فملأوا بهم السجون وأرسلوا أعيانهم الى ايطاليا ، ولم تخف على رمضان بك مثل هذه الأعمال فأراد الرجوع الى مصراتة لينقذ أهلها فلم يأذن له السيد ، وكان رمضان بك أخذ أكثر الغنائم ، وأخذ يماطله وقصده أن يترك له

أن بحثوا أسباب الخلاف وما أدى الى هذا الشقاق رأوا أن التمادى فى مثل هـذه الحال مضر بمصلحة الطرفين ومؤد بالبـلاد الى مصير سيء ، واتفق الفريقان وزال كل خلاف وعادت المياه الى مجاريها ، وأبدى كل من الفريقين رغبته فى توحيد الـكلمة بين القطرين بعد أن اقتنعوا أن

ما أخذه من الغنائم ، وبعد ستة أيام نفد صبر رمضان بك فترك للسيد أكثر ما أخذه من الغنائم وذهب الى مصراتة لانقاذ أهلها من يد الايطاليين . و بعـد مناوشات تمـكن من حصر الايطاليين فيها خمسة وعشرين يوما ، ثم جاءوا بقوة عظيمة وفـكوا الحصار عن أنفسهم بعد معركة دامت ثلاث عشرة ساعة استشهد فيها ١٢٠ شهيدا ، وترك الطليان مصراتة بكل مافيها من معـدات وسلاح وأرزاق وكانت غنائم لاتحصى ، واستتب الامر فى مصراتة لرمضان

ثم انتقل السيد صفى الدين الى ارفلة وفرض على أهلها الضرائب وأخذ كل ماغنموه من الطليان فى بلادهم حتى جلا عبد النبي وغيره من أعيانهم الى مصراتة. ولـكن هذا لم يمنع رمضان أن يدعو السيد صفى الدين الى زيارة مصراتة فدعاه واحتفل بمقدمه وأكرمه غاية الاكرام. ولـكنه لم يلبث أن ابتدأ فى تمثيل الدور الذى مثله فى اورفلة ففرض الضرائب على الجمل ٥٠ فرنـكا، وعلى البقرة ٢٥ فرنكا وأمر بأخذ الزكاة من الغنم، وطلب أن يسلم اليه كل ماخلفه الطليان فى مصراتة من مؤن وذخائر وهو شيء لايحصى كثرة. فعارض رمضان بك فى فرض الضرائب بحجة أن الناس لم تبق الحرب عندهم شيئا ، ومن كان منهم فى صف القتال مؤونته على نفسه فلا داعى الى فرض الضرائب . أما الزكاة فلا بأس من أخـذها . وأما تسلم الغنائم فهذا شيء غـير ممكن لأن البلاد فى حاجة اليها ، وهى فى ضمانة هيئة منتخبة من أعيان مصراتة وأغنيائهم ولا يصرف منها شيء الا باذن الحـكومة

هذا التوحيد يكسب البلاد قوة مزدوجة أمام العـدو المهاجم . ثم ذهب كل الى وطنه يعمل لجمع الـكلمة

وهم مسئولون عنها أمامها . فلم يقتنع السيد صفى الدين بهذا واستمر على مطالبه واستمر رمضان بك فى معارضته .

ومن هنا نشأ الخلاف بين رمضان بك و بين صفى الدين . وانضم بعض الناس الذين كانوا ينازعون رمضان بك الرياسة الى السيد صفى الدين ، وأصدر أمره بأن رمضان بك « مهجور » على عادة السنوسية فيمن غضبوا عليه . واشتد الخلاف بين الفريقين ، فاجتمع الناس فى يوم وخطب فيهم السيد صفى الدين وقال لهم انى هجرت رمضان بك وعزلته من وظيفته ، فأجابوه بلسان واحد : لا نرضى بعزل رمضان بك ، ولا حاجة لنا بالسنوسية فى بلادنا و يجب أن تخرج منها فى هـذا اليوم ، فلم يسع السيد صفى الدين الا الخروج وقصد أورفلة حيث يقيم وكيله أحمد التواتى ولم يلبث السيد أن جاء الى ترهونة وأرسـل الى أعيان وعلماء الجهة الغربية (النواحى والزاوية وغيرهما) فحضروا وكان ظاهر الدعوة الزيارة ولم يعلمهم بما انطوت عليه نيته من محاربة رمضان بك، واجتمع الـكل فى مسلاتة . فما شعروا الا وأحمد التواتى (وكيل السيد صفى الدين) يقدم اليهم فتوى مصدرة بقول الشاعر :

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

مضمونها أن رجلا عصى الحـكومة السنوسية وأهان الأشراف هـل يقتل أم لا ؟ فاستغرب الناس هذه الفتيا، ثم فهموا أخيرا أن المقصود بها رمضان بك، فقالوا للسيد يجب أن نتصل برمضان بك فان وجدنا الحق معه فنحن لا نحاربه ، وان وجدناه ظالما رجعنا الى بلادنا وأرسلنا اليك رجال الحرب لاننا جئنا للزيارة

و بينما كان الوفدان مجتمعين في سرت احتلت ايطاليا مصراتة واستؤنفت الحرب . وفي جمادى الآخرة من السنة المذكورة حصلت هدنة بين الطليان

فقط، فأصر التواتي على محاربة رمضان بك ومنعهم من الذهاب اليه، وأخيرا توسل الشيخ سوف والشيخ عمر المنصوري وسلطان بك ابن شعبان وغيرهم بحجة زيارة سيدي عبد السلام فأذن لهم واجتمعوا في زيارتهم برمضان بك فاقتنعوا بوجهة نظره، وأن الذي أحدث هذه الفتنة هو أحمد التواتي على حساب السيد صفي الدين، ومما قاله لهم رمضان بك: اني مستعد لتوريد كل ما يلزم السيد صفي الدين من أرزاق على شرط أن يتخذله جبهة أمام العدو . ولما عرضوا هـذا على السيد صفي الدين رفضه وأصر على محاربة السويحلي ، فرجع الاعيان كل واحد الى بلاده وهاجم رمضان بك السيد صفي الدين فانسحب هذا الى ترهونة ومنها الى أورفلة فلحقه رمضان بك هنالك وأجلاه عنها ، وقبض على أحمد التواتي فقتله . وترتب على هذا أن منع رمضان بك السيد أحمد من دخول مصراتة حينما منعه السيد ادريس من البقاء في برقة بعد أن لم يوفق في هجومه على الحدود المصرية . وقـد حاول نوري باشا اقناع رمضان بك بدخول السيد أحمد مصراتة وأنه يفيد الحركة سياسيا وأدبيا ، وقد أيده الاستاذ عبد الرحمن عزام في هذه الفكرة ، ولـكن رمضان بك أصر على فكره خوفا من وقوع مثل ما وقع مع السيد صفي الدين .

واستمرت هذه الحال السيئة الى جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ حيث اجتمعت الوفود في سرت و زال كل خلاف كما ذكرنا آنفا

هذه هي أسباب الخلاف ذكرناها بكل اختصار وللمنصف أن يحكم لمن شاء وعلى من شاء

والطرابلسيين وشرعوا فى مفاوضات [١] للوصول الى اتفاق يكفل الراحة للطرفين . وفى أثناء المفاوضات رأت هيئة الاصلاح المركزية أن تعين أميرا تنفيذا لما قرر فى مؤتمر غريان لتكون ايطاليا أمام الأمر الواقع . ولما لم يكن من الممكن اذ ذاك أن تفكر الأمة فى انتخاب غير السيد ادريس السنوسى — لأن أهل برقة ما كانوا يخضعون لغير السنوسيين ، ولأنه كان مهيأ لها بنصب ايطاليا اياه أميرا على دواخل برقة بمقتضى معاهدة الرجمة سنة ١٩٢٠ . لهذا لم يكن بد لسكان طرابلس أن تتجه رغبتهم اليه خصوصا فى ذلك الوقت العصيب الذى اشتدت فيه وطأة العدو عليهم والذى لايتسع للتفكير فى غيره — انتخبت الهيئة المذكورة السيد ادريس أميرا وأبلغت المفاوض الايطالى ذلك الانتخاب ، ولما أبلغه الى حكومته رفضته ، وأصر الطرابلسيون على تنفيذه وأصر الطليان على رفضه ، فكان الصخرة التى تحطمت عليها آمال السلم ، واستؤنفت الحرب يوم الجمعة من أواخر شعبان سنة ١٣٤٠ وأرسل الطرابلسيون وفدا [٢]

---

(١) تعرف هذه المفاوضات بمفاوضات « بئرعبازه » وهو مكان الى جنوبى مدينة طرابلس بنحو ثلاثين كيلو مترا . وكان المفاوض من ناحية الحكومة الايطالية بيله وترجمان الوالى ، ومن ناحية الحكومة العربية هيئة الاصلاح المركزية برياسة أحمد بك المريض

(٢) يتألف هذا الوفد من الشيخ محمد بن حسن ، والشيخ محمود المسلاتى ، والشيخ الطاهر الزاوى . وكانت علاقة السيد ادريس بالطليان اذ ذاك علاقة حسنة . وبعد أن أفهم السيد ادريس الوفد أن الزيارة ستتأخر الى أن تتحسن صحته سافر

الى السيد ادريس فى اجدابية يطلبون قدومه اليهم لمبايعته بالامارة ، فوصلها فى شوال سنة ١٣٤٠ وتقابل معه وأبلغه دعوة الأمة الطرابلسية لمبايعته ، فاعتذر عن الذهاب بأن صحته لا تساعده على الذهاب فى فصل الحر وأخر اجابة الدعوة الى فصل الخريف وبرودة الجو ، فرجع الوفد الى مصراتة . فى أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة . وفى صفر سنة ١٣٤١ أرسلوا اليه وفدا آخر يحمل كتاب البيعة فوصل اجدابية فى ربيع الأول وقدم اليه كتاب البيعة فقبلها بعد أن قطع على نفسه العهد بأنه يقف حياته على خدمة الوطن. وهذا نص كتاب البيعة، ويليه نص كتاب الرد عليها

لى المرج وقال انه يريد مقابلة وزير المستعمرات للمذاكرة معه فى شؤون الوطن. وفى آخر اليوم الذى سافر فيه أبلغ السيد صفى الدين الوفد على لسان السيد الرضا — وكيل السيد ادريس وكان حاضرا — أن السيد ادريس سافر لمقابلة وزير المستعمرات وهو يرجو الوفد ان ينتقل من اجدابية الى « الطبيل » — مكان شرقى أجدابية على مسافة ساعتين لاشىء فيه الا الرمال تذروها الرياح على من نزل فيه — نظرا لما بينه وبين ايطاليا من الاتفاق ، ووجود الوفد بأجدابية مضر بهذا الاتفاق . وظل الوفد فى الطبيل فى انتظار جواب من السيد ادريس ، وبعد نحو ١٥ يوما جاءه جواب مع الشيخ صالح الاطيوش يصرح فيه للوفد بالسفر وهو على عهده فى الزيارة حينما تتحسن صحته ويذهب الحر ، فرجع الوفد الى مصراتة



السيد ادريس السنوسى

نص كتاب البيعة

الى سمو مولانا الأمير الجليل السيد محمد ادريس حفظه الله ورعاه تحية تليق بالمقام الرفيع والجناب الاسنى المنيع . وبعد فانه غير خاف على سموكم أن الخلاف لم يزل قائما بيننا وبين الحكومة الايطالية . ذلك لأنها وجهت عزمها الى العبث بجميع حقوقنا شرعيها وسياسيها واداريها . وجعلت من قوتها مبررا للتصرف فى مصيرنا وحقوقنا الطبيعية ، ونحن خير أمة أخرجت للناس لانتحمل ضيما، ولا نرضى أن تضمحل شريعتنا، ولا أن يتطرق الخلل الى ديننا القويم كائنا ما كان ، الأمر الذى حملنا على ركوب الأخطار واقتحام الحروب المتوالية ، معتمدين على قوة الحق الى أن نظفر بتحقيق أمنيتنا القومية الا وهى تأسيس حكومة دستورية يرأسها أمير مسلم جامع للسلطات الثلاث الدينية والسياسية والعسكرية ، مع مجلس نيابى تنتخب الأمة أعضاءه ، وبهذا يسلم وطننا ويتم أمر ديننا وتصلح أحكام قضاتنا، ويحفظ شرعنا وعنعنة تاريخنا الباهر . وهذا لاينافى ماتدعيه ايطاليا وما دأبت عليه فى خطب رجالها من انها لم تحتل ديارنا بنية الاستعمار ، وانما ساقتها دواعى السياسة الدولية فى البحر المتوسط . ولو كانت صادقة فى دعواها هذه لما عرضت بلادنا للخراب بتوالى

المهاجمات واستعمال دهائها وقدرتها للتفريق والفوضى . وقد حاولت فصل الأمة بعضها عن بعض بطرق مختلفة وابى الله الاان يجمع كلة القطرين الشقيقين بأن يلتفا حول أمير واحد يرضيانه .

وحيث كان سموكم من أشرف عائلة وأكرم بيت مع ماتجمع فى ذاتكم الشريفة من المزايا العالية والأوصاف الجليلة فان « هيئة الاصلاح المركزية » الحائزة للوكالة المطلقة من « مؤتمر غريان » الذى يمثل الامة الطرابلسية بانتخاب واقع منها قد وجدت فى سموكم أميرا حازما قادرا على جمع الامة حائزا للثقة العامة محبوبا ، فهى لذلك تبايع سموكم أميرا للقطرين طرابلس و برقة على أن تقودهما الى ما يحقق أمانيهما الشريفة الاسلامية المنوه عنها

على أن مبايعتكم كانت مضمرة فى كل نفس منذ وقع الاتحاد بين مندوبى القطرين فى « سرت » وكان السبب فى تأخير تحقيقها طوارىء الحرب التى طوحت بكل واحد من أعضاء الهيئة ورجال القطر فى منطقة شاسعة من المناطق الحربية

وبهذه المبايعة ان شاء الله أصبح سموكم الأمير المحبوب للقطرين المباركين . ومتى سنحت الفرصة عند تشريفكم ايانا حسب رغبة الأمة تقام لكم مظاهر هذه البيعة فى موكب لائق بسموكم .

والله سبحانه وتعالى يمدكم بروح من عنده ويجعل البركة فى البيت السنوسى المؤسس على التقوى والصلاح . فى ٣ ذى الحجة سنة ١٣٤١

رئيس هيئة الاصلاح المركزية — احمد المريض

مستشار هيئة الاصلاح المركزية — عبد الرحمن عزام[1]

الأعضاء :

محمد بن عمر — عثمان القيزانى

بشير السعداوى — عمر بودبوس

حسين بن جابر — محمد صادق بن الحاج

محمد فرحات — محمد مختار كعبار

عبد الرحمن زبيدة — محمد فكيني

محمد التايب — الصويعى الخيتونى

سالم البحباح

---

(١) كثير من الناس لا يعرف سبب مجىء الاستاذ عبد الرحمن عزام الى طرابلس ، وها نحن نرويه اليهم كما وقع . كان الاستاذ عبد الرحمن عزام طالبا فى لندن . وفى ٢٤ يونيو سنة ١٩١٤ عقد مؤتمر وطنى فى جنيف فذهب لحضوره مندوبا عن الطلبة المصريين فى لندن . وفى أثناء انعقاد المؤتمر أعلنت الحرب العامة ، فاتجهت أنظار المؤتمرين لانتهاز فرصة الحرب للعمل على استقلال مصر . وقد رأى بعض المؤتمرين سفره الى مصر للعمل على معاونتهم ماليا ليمكنهم القيام بعملهم . و بعد أن وصل الى مصر أراد أن

الأعيان :

محمد الديب	فرحات القاضى
محمد سوف	محمد القرقنى
عمر ضياء	أحمد السنى
على بوحبيل	البغدادى بن معيوف
أحمد الشتيوى	محمد الصغير المريض
محمد سعدون قائد الجيش الوطنى	

يخرج منها فمنعه الانجليز، وأنذروه بأن لا يغادر البلاد وأن يثبت وجوده كل يوم لدى البوليس . فأخذ يعمل للخروج من مصر للالتحاق بالاتراك أعداء الانجليز والعمل معهم على تخليص مصر من يد الانجليز حتى استطاع الهرب الى حدود مصر الغربية فى ديسمبر سنة ١٩١٥ واشترك فى الهجوم الذى قام به الأتراك والسيد أحمد السنوسى على الانجليز فى مصر . ولما فشلت هذه الحركة بقى فى برقة مع نورى باشا لانتهاز الفرصة لتجديد الهجوم ثانية . ولكن اتصال السيد ادريس السنوسى بالانجليز والطليان وعقده معاهدة الزويتينة حال دون ذلك انظر (ص ١٢) ولما أيقنا بأن تجديد الهجوم على الانجليز غير ممكن ذهبا الى مصراتة فى أواخر سنة ١٩١٦ لاستئناف الحرب هناك باسم الحكومة العثمانية . واتصل الاستاذ عبد الرحمن عزام برمضان بك السويحلى وصار من أكبر أعوانه وأعز أصدقائه ، ثم سافر مع نورى باشا الى الاستانة فى اغسطس سنة ١٩١٧ فى غواصة ألمانية ، و بعد وصوله أوفدته وزارة الحربية التركية الى برلين وفينه لترتيب أعمال عسكرية وارسال الاعانة ومهمات الحرب الى طرابلس

نص الرد على كتاب البيعة

من خادم الملة الاسلامية محمد ادريس المهدى السنوسى الى أصحاب السعادة رئيس هيئة الاصلاح المركزية وأعضائها وعموم الموظفين ورؤساء الجيوش وكافة الأعيان والأهالى الطرابلسيين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التى أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة فى تحقيق غايتكم التى أجمعتم عليها فى مؤتمر غريان، وجاهدتم لها

بطريق الغواصات . ثم استدعته لتنفيذ السياسة التى أشار بها عليها فى طرابلس وبرقة ، وعينته مستشارا عاما للقيادة العليا الافريقية ، ثم عاد الى طرابلس فى مارس سنة ١٩١٨ مع البرنس عثمان فؤاد ابن الامير صلاح الدين ابن السلطان مراد الذى عين قائدا اعلى للقوات الافريقية . واستمر يعمل على تنظيم الحركة الوطنية فى طرابلس الغرب وايجاد جيش منظم . وكان العامل الاكبر فى تغذيتها بالروح العصرية والأفكار الحديثة. وهو الرجل الوحيد الذى استطاع أن يتغلب على كثير من الخلاف الذى كان يقوم بين الرؤساء. وقد أبدى من اللباقة وحسن التدبير ماحازبه رضاء الأمة الطرابلسية التى لن تزال تردد ذكره بخير كلما رددت ذكر جهادها الوطنى

جهادا صادقا بالأنفس والثمرات فى شخصى فأخذتها داعيا الله أن يحقق آمال هذه الأمة و يكلل مساعيها كلها بالنجاح

ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التى طالما سعيت اليها وجدت من واجبى أن أتلقى طلبكم بالقبول ، وأن أتحمل المسئولية العظمى التى رأت الأمة تكليفى بها ، فعلى إذن أن أعمل بجد معكم . ولكن لاتنسوا أننى بغير اقدامكم وجدكم لاقدرة لى على شئ

انى أعلم أن الحياة الخالدة هى للامم لا للأفراد ، وكذلك الأعمال العظيمة الباقية هى التى تنصرف الى صالح الجميع ، فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى ان يهدينا الى كل عمل ثمرته للأمة

ان من حق كل شعب أن يسيطر على شؤونه ، والناس منذ نشأوا أحرار . وقد أظهر شعبنا فى كل أدواره مقدار محبته للحرية فدفع مهورها غالية فلا يصح لاحد أن يطمع فى استعباده والاستبداد بشؤونه

لقد اشترطتم على الشورى وهى أساس ديننا وسأعمل على قاعدتها . هذا وقد رأيت أن أقر الأمور على ماهى عليه حتى تجتمع جمعية وطنية لوضع نظام البلاد ، فلذلك أكل الى الهيئة المركزية لما أبدت من الحمية والعدل والدراية أن تستمر على ادارة شؤون القطر الطرابلسى ، ولى الثقة العظيمة فى حكمة رئيسها البطل الحازم احمد بك المريض و رفقائه والرؤساء الكرام الذين أيدوا مساعى الهيئة الملية أن يتحملوا مشاق المسئولية بصبر لتثبيت دعائم البناء الوطنى الذى شيدوه

وأسأله تعالى أن يمد الجميع بعنايته وأن يثبت الأقدام و يقهر الأعداء. و يمن بالنصر الموعود انه على مايشاء قدير

في ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٤١ الامضاء

محمدادريس المهدى السنوسى

وما لبث بعد وصول كتاب البيعة اليه وقبولها أن ترك البلاد وسافر الى مصر بحجة أنه مريض و يريد أن يعرض نفسه على الأطباء

فقد غادر أجدابية فى اليوم الثانى من جمادى الاولى سنة ١٣٤١ وفى يوم ١٣ منه وصل الى جالو ، ثم أخذ طريق الصحراء الى الجغبوب فوصلها يوم الجمعة ٢٤ منه. وفى يوم ٣٠ منه وصل الى سيوة. وفى يوم ٤ جمادى الآخرة وصل الى مطروح .وفى يوم ٨ منه وصل مريوط واستقل قطارا خاصا أعدته له الحكومة المصرية اكراما له . وفى الساعة الثالثة والربع من مساء يوم السبت ١٠ منه وصل القاهرة واستقبل فيها استقبالا فخما من أهل الفضل فى مصر و رؤساء العرب فيها ووجهائهم، ومن أدباء السوريين والعراقيين والفلسطينيين ، وأرسل جلالة الملك فؤاد مندوبا خاصا لمقابلته وفتح له الباب الملكى ، وأكبرته الأقطار العربية اكبارا تجلى فى وفودها التى تتابعت لزيارته والترحيب بأمير برقة وطرابلس فى دار السيد محمد الشريف الادريسى الميرغنى . وكانت هذه الوفود العربية تنتظر منه بيانا عن الحركة الوطنية فى طرابلس ومجرى السياسة الايطالية فيها ، ولكنه لم يفه بكلمة فى هذا الموضوع ، ولو فعل

لأدى لطرابلس خدمة لاتقل فائدة عن الجهاد بالسيف والمدفع . وقد كان سكوته محل استغراب من جميع زعماء الأقطار العربية . وقد نشرت الأهرام اذ ذاك أن الكشف الطبي الذى أجراه لهعبد الوهاب بك وحامد واصف بك وأحد الأطباء النمساويين أثبت أن صحة سموه حسنة وقد زادت تحسنا ، ولم يجد الأطباء مرضا معينا يقضى بالمعالجة أو قلق البال . و بمثل هذا العذر يبرر السيد ادريس سفره الى مصر و يترك أمة بأسرها على شفير الهاوية بعد أن قلدته أمرها ومدت اليه يدالبيعة فبايعها

وما كاد يذيع فى الناس خبر سفر السيد ادريس الى مصر حتى فترت الهمم وحلت العزائم ، و وقعت البلاد فى هاوية لم تصل الى قرارتها بعد . أما ايطاليا فانها لم تكد تسمع بخبر البيعة للسيد ادريس حتى قطعت معه كل العلائق . ونشبت الحرب فى برقة فكان السيد عمر أول المحار بين وأول من وقف فى وجه ايطاليا.

ولما بويع السيد ادريس بالامارة عين السيد عمر المختار قائدا لمنطقة الجبل الأخضر فباشر عمله وأخذ فى تنظيم أموره ، ولكن سفر السيد ادريس الى مصر عقب البيعة مباشرةأحدث اضطرابا عاما فى الأمة وضعفا فى النفوس كما ذكرنا آنفا ، لهذا لم ينتظم أمر السيد عمر ، فاضطر الى أن يلحق بالسيد ادريس فى مصر ليستطلع رأيه فيما أصاب الامة من فشل بأسباب سفره ، وهل هو معتزم العودة الى الوطن ليؤدى هذه الأمانة التى تحملها فى عنقه أمام الله والناس ؟ أم هو لاينوى الرجوع الى

الوطن ، وعلى الطرابلسيين أن يتولوا مصلحتهم بأنفسهم ؟ فجاء السيد عمر الى مصر فى مارس سنة ١٩٢٣ وقابل السيد ادريس وشرح له ماأصاب الأمة الطرابلسية بسبب سفره من بلاء ، ولكنه لم يحظ منه بأمر حاسم ، فأيقن السيد عمر بعدم رجوعه الى طرابلس ، وعلم أن تعليق الآمال على رجوعه لن يحقق شيئا من تخفيف البلاء النازل بالوطن ، فأجمع أمره ورجع الى برقة ليتشاور مع رؤساء العرب فيما يجب عمله لمصلحة بلادهم.

و بينما هو راجع فى طريقه الى برقة عرض له الايطاليون فى ثلاث سيارات مسلحة بجهة «ابيار الغبي[1]» للقبض عليه،وقد دافع عن نفسه وانتصر على من فى السيارات الثلاث فقتلهم وأخذ مامعهم . وقد استمر فى طريقه الى أن وصل الى معسكر المغاربة بناحية زاوية القطوفية حيث يوجد الشيخ صالح الاطيوش ، والشيخ الفضيل المهشهش.وفى هذاالوقت كان السيد الرضا فى جالو نائبا عن أخيه السيد ادريس فى ادارة شؤون الحرب ، فذهب اليه السيد عمر ، وفى أثناء اقامته عنده حصلت معركة البريقة ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ١٣٤١

(١) بضم الغين وفتح الباء

معركة البريقة

تسمى هذه المعركة معركة البريقة، ومعركة سيدى بلال ، والبريقة وسيدى بلال مكانان متقاربان يقعان فى جنوبى أجدابية الغربى فنسبت المعركة لكل منهما،والبريقةعلى مسافة٨٥ كيلو مترا من اجدابية.وتسمى أيضاواقعة الكراهب،والكرهبة عند البادية هى السيارة ، ونسبت اليها لكثرتها فيها لأنها كانت تقارب المائة بين دبابات ومدرعات وحمالات

وسببها أنه لما قبل السيدادريس البيعة بالامارة أعلنت ايطاليا عليه الحرب واحتلت أجدابية التى كانت مركزا له فى ٩ رمضان سنة ١٣٤١ واجتمع المغاربة ومن انضم اليهم حوالى زاوية القطوفية وهى الى جنوبى أجدابية بنحو مرحلة ، وصاروا يناوشون الطليان فى أجدابية و يقلقون راحتهم ، فلم ير الطليان بدا من محاربتهم فخرجوا عليهم فى جيش لايقل عن خمسة آلاف مجهز بجميع المعدات والآلات الحديثة ، ومعه نحو مائة سيارة من المدرعات وغيرها فالتقوا به فى البريقة ونشبت المعركة بين الفريقين . وكانت الدبابات أول ضحية هذه المعركة لأن طبيعة الأرض لم تساعدها على القيام بمهمتها ، وأمطرها المجاهدون وابلا من الرصاص ففسدت عجلاتها فانقضوا عليها وقتلوا من فيها ، واستحر القتل بين الفريقين وصمد المجاهدون لهذا الجيش العرمرم ، فما هى الا ساعة حتى ذهب الله بريحه

وولى الادبار، فركبوا أقفيته فلم ينج منه الا نفر قليل تمكنوا من الهرب. وكان الفضل فى هذه المعركة للمغاربة وقد أبلوافيها بلاء حسنا. وأظهروا فيها من الشجاعة والاستبسال ما يسجله لهم التاريخ بمداد الفخر. وقد استشهد في هذه المعركة من فرسانهم المبرزين في الشجاعة الشيخ ابراهيم الفيل، والشيخ نصر الأعمى، والشيخ مهدى الحرنة، والشيخ سعيد بو شلبي. وكانت هذه المعركة بقيادة الشيخ صالح الاطيوش[1] والشيخ الفضيل المهشهش. وقد أظهر فيها قجة[2] من الشجاعة ما يشكر عليه

و بعد هذه المعركة رجع السيد عمر الى البريقة حيث معسكر المغاربة ساخطا على الرضا، ناقما منه سوء ادارته واستسلامه لآراء من حوله ممن لا يهمهم الا مصالحهم الخاصة. وقد اتفق السيد عمر مع الشيخ صالح الاطيوش أن يأخذ معه نفرا من المجاهدين ويذهب بهم الى الجبل الأخضر ويؤسس بهم معسكرا هناك. وقد تم هذا الرأى وذهب السيد عمر فى نفر من المجاهدين واستقر بهم فى الجبل الأخضر. ولم يلبث أن توافدت عليه الناس من كل صوب. ومن هذا الوقت ابتدأ أمر السيد عمر فى هذا الدور الأخير من جهاده عليه رحمة الله

---

(١) بكسر الطاء (٢) قجة ـ بضم القاف وفتح الجيم مشددات : عبد من عبيد السنوسية اشتهر بالشجاعة فى حروب برقة، وكان له ذكر حسن بين الناس

الجبل الاخضر

هو لبنان طرابلس ، والجنة المفقودة « هسبريد » التى كان قدماء اليونان يتغنون بها فى أشعارهم ، والغابة الوحيدة فى ليبيا ، وهو المكان الذى زين الله به برقة فكان محل القلادة من جيدها

والجبل الأخضر هو تلك المروج الخضراء ، والجنان ذات الظلال الوارفة الممتدة من سهول مدينة بنغازى الى الشرق على مسافة ٤٠٠ كيلو متر تقريبا . وحيثما توجهت فى الجبل الأخضر وقع نظرك على مروج خضر كالزمرد ، وغاب أشب ملتف عظيم السرح فينان الدوح، يسير الراكب فيه ليالى وأياما وهو فى ظل الشجر ، وأرضه مغطاة بأنواع الاشجار المتكاثفة من الزيتون والصنوبر ، وأنواع كثيرة من الغار . وفيه الشىء الكثير من الآس والأرز والعفص والقطلب والدفلا ، وأنواع كثيرة من الورد البرى الأبيض والأحمر ، وغيرها من أنواع السندروس والعرعر وزهر العسل الذى يعطر الارجاء بما ينبعث عنه من الروائح الزكية . وعلى طول الجبل من ناحية ساحل البحر تجد من الأنهار الجارية والعيون النابعة ما يخجل لصفائه نيل مصر وبردى الشام

ولا تقل هذه العيون النابعة المنتشرة على طول ٤٠٠ كيلو متر على ٥٥ عيناء وأكثرها يكون أنهارا كنهر درنة فانه يتكون من عينين

ونهر ماره الذى يتكون من ٢٥ عينا، ونهر كرسة وغيرها من الأنهار التى جمل الله بها الجبل الأخضر

وقد مرت على هذا الجبل أحقاب وتداولته أمم كان مركز الحياة من جسمها

ومن أجمل عيون هذا الجبل عين شحات وهى تبعد عن البحر مسافة ساعتين الى الجنوب . وشحات جبل يتفجر الماء من مغارة فى رأسه وينحدر فى شفير علوه نحو ٣٠٠ متر ، وهو من أجمل مناظر الدنيا

وشحات فى الأصل هى « سيرينا » الشهيرة التى بناها التيريون من اليونان سنة ٦٣٠ أو ٦٦١ قبل المسيح ، وكانت تضاهى قرطاجنة واليها ينسب الفيلسوف «اريستيب» الذى نسبت اليه الفلسفة السيرينية . وقد خرج منها عشرون ملكا ، وبقيت دولتهم مائتى سنة

هذا واذا أردنا الاتيان على وصف الجبل الأخضر بما أفاض الله عليه من جمال فدون ذلك يقف القلم . ولكنها نبذة جاءت عرضا لمناسبة ما أريق فيه من دماء الشهداء ، وما فيه من آجام كان يأوى اليها السيد عمر المختار ومن معه من المجاهدين مما جعلنا نعرفه بمثل هذه النبذة ليعرف الناس ما هو الجبل الأخضر

ابتداء العمل

رجع السيد عمر من برقة الى الجبـل الاخضر عقب واقعة البريقة بنفر قليل من المغاربة واتخذ له الجبل الاخضر مقرا ؛ ولم تمض فترة من الزمن حتى انضم اليه كثير من رؤساء القبائل ، واجتمع اليه الناس من كل صوب ، فأخذ فى تنظيم أمره وعين لـكل قبيلة رئيسا منهـا : فعين لقبيلتى الحاسة والعبيدات الفضيل بو عمر ، ولقبيلتى البراعصة والدرسة حسين بن مفتاح الجويفى البرعصى ، ولقبيلتى العبيد والعرفة يوسف بو رحيل المسمارى ، واتفق هؤلاء الرؤسـاء جميعا على أن يكون السيد عمر قائدا عاما ورئيسا على كل المجاهدين ، وتم الأمر على ذلك وعقـدوا الخناصر على الجهاد فى سبيل الله الى آخر نفس من حياتهم أو يخلصوا وطنهم من العدو

ابتدأت حركة السيد عمر المختار فى الجبل الاخضر صغيرة كـكل شىء فى الوجود ، ثم نمت و بلغت أشدها فى أقصر زمن يمكن أن تبلغه فيه حركة مثلها ، ذلك بما كان يغذيها به السيد عمر من ذكائه المتوقد وتدبيره المصيب ، وما يحوطها به من جهوده الجبـارة فى وقايتها من الهزيمة أمام العدو حتى لا يتسرب الفشل الى ضعاف العقول . فـكان التوفيق يصحبها فى كل تطوراتها مما شجع المجاهدين وقوى فى نفوسهم

بحب التضحية فى سبيل اعلاء كلمة الله وانقاذ الوطن ، فما شعر الايطاليون حتى وجدوا أنفسهم أمام جيش يهاجم حصونهم الخلفية ، ويغزو معاقلهم التى تحميها قنابر الاسطول ، واذ ذاك أخذوا يفكرون فيما يقيهم هذا الخطر الداهم الذى لم يكن فى حسابهم

التفكير فى القضاء على السيد عمر

وأول ما فكر فيه الايطاليون لتقويض هذا البناء الذى أحكم بنيانه السيد عمر أن يتوصلوا الى استمالة الرؤساء بالأمانى والوعود بما يشتهون من جاه ومال ، والعفو عما آنواه من القيام فى وجه الحكومة ، وفى الوقت نفسه كانوا يهددون السيد عمر بقوتهم وانهم قادرون عليه ان لم يسلم نفسه . وكان الذى يوصل هذه البلاغات وهذه الأمانى الطيارات تارة ، والوفود تارة أخرى ، فأرسلوا جوابا فى ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ مع عبد النبي القبائلى باسم مشايخ العبيدات ملأوه بجميع أنواع التهديد فيما إذا لم يثقوا بوعودهم ، ولم يذكروا فيه اسم السيد عمر ظنا منهم انهم يستميلونهم اليهم حتى إذا ما وجدوا فرجة بين الطرفين دخلوا منها وضربوا فريقا بيمينهم وفريقا بشمالهم ، ولكنهم لم يفلحوا ، وقد ذكروا فى هذا الجواب انهم لايهاجمون المجاهدين الا بعد سبعة أيام وهى المدة الكافية لرد الجواب

وقد رد المجاهدون عليهم بمثل جوابهم وانهم مستعدون لمقاومتهم إلى

آخر لحظة من حياتهم ان أصر الايطاليون على اغتصاب حقوقهم ، كما انهم مستعدون للجنوح للسلم ان أرادوا السلم

أول هجوم للايطاليين

أرادت ايطاليا أن تجرب القوة فهاجمتهم قبـل مضى السبعة الأيام التى وعدت بعدم الهجوم خلالها ، فصمد لها المجاهدون ، ورجـع الجيش الايطالى مخذولا ، وكان هذا الهجوم ردا على جواب المجاهدين. وعقب المعركة أرسلت وفدا فيه عبدالقادر بو بريدان، ومحمد بو حامد، وشعيب بو عزاق . وجاء بعدهم العلمى الغمارى فى وفد ، وموسى الفحاصى فى وفد ، وكلهم يفاوضون فى شأن التسليم للحكومة على أن تعفوا عن كل من التجأ اليها . واستمرت الوفود نحو ثلاثة أشهر وكلهـا تضرب على هذه النغمة والمجاهدون لا يأبهون لهذه الوعود ولا لتلك التهديدات

ولما لم يفد الوعد ولا الوعيد التجأت ايطاليا الى الشدة ، وتابعت الهجوم على المجاهدين،ووقعت وقائع كبيرة من أشهرها معركة الرحيبة أسر فيها كثير من الجيش الايطالى، وواقعة عقيرة المطمورة، وواقعة كرسة (١)

---

(١) أمكنة بالجبل الاخضر نسبت اليها هذه المعارك

واقعة عقيرة المطمورة

كانت هذه الواقعة فى شوال سنة ١٣٤٥ واستشهد فيها الشيخ محفوظ الارفلى . والشيخ عبد الرحيم بوهزاوى وآخرون . وكان الشيخ محفوظ هذا رجلا فاضلا عالما من الذين أبلوا فى عدة معارك ، ومن الذين يشار اليهم فى التمسك بدينهم رحمه الله رحمة واسعة

وكانت الغنائم فى هـذه الواقعة كثيرة من آلات حربية وحيوانات ومؤن وغير ذلك

ومن التوفيق فى هـذه المعركة أن المجاهـدين غنموا مدفعا وأمكنهم أن يستعملوه ضد عدوهم ، فكان ذلك من أسباب فوزهم فيها ، والذى استعمل هذا المدفع هو الهادى القماطى من « قماطة مصراتة »

واقعة كرسّه

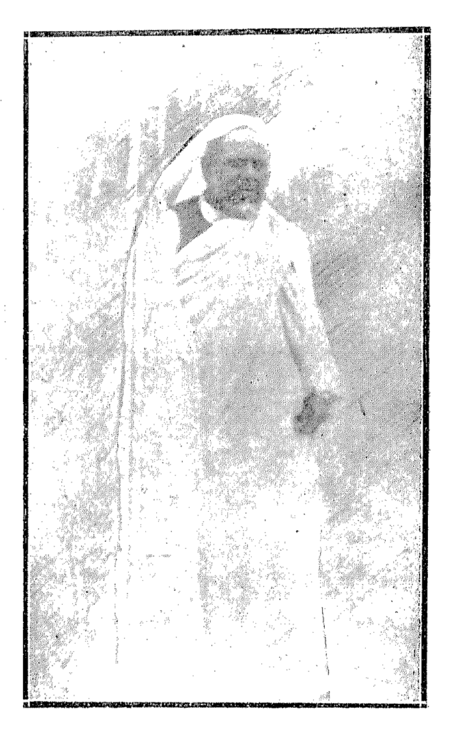
ومن أشهر الوقائع واقعة كرسه ، وكانت يوم السبت ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ وهى التى استشهد فيها ذلك المجاهد العظيم السيد الفضيل بوعمر ، وهو من قواد السيد عمر المختار المشهورين ومن الرجال المبرزين فى الحرب الطرابلسية الذين اشتهروا بالاخلاص والشجاعة

كتاب السيد عمر

وقد ذكر السيد عمر فى كتاب له بشأن هذه المعركة مانصه :

«وفى يوم السبت ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ هجم العدو على دور العبيدات والحاسة عند نقطة القبنة[1] ، وكان رئيسه السيد الفضيل بوعمر ، ولما حان وقت صلاة الظهر قسم السيد الفضيل الجيش الى قسمين فصلى بالطائفة الأولى صلاة الخوف ، فلما أتمت الطائفة الأولى صلاتها ذهبت تجاه العدو وأتت الثانية فأتم بها الصلاة وركب جواده وتقدم يحرض الجيش على القتال وهو يكبر ويهلل ، وهكذا كلما حضرت الصلاة يعمل هذا العمل الى أن استشهد رحمه الله ، وقد استشهد معه أربعون شهيدا ،منهم السيد أحمد الغمارى ، والسيد محمد الصادق الغزالي ، والشريف القاسم ، وأخوه ، وقد وجدنا فى ميدان القتال ماينيف عن ٥٠٠ قتيل من العدو بينهم ماجور وثلاثة ضباط »

(١) بكسر القاف والباء وفتح النون مشددة : موضع بالجبل الأخضر



السيد الفضيل بو عمر

الوقائع الحربية

والوقائع التي حصلت فى حروب السيد عمر المختار جد كثيرة . وقد جاء فى بيان لغراسيانى أن المعارك التى وقعت بين جنوده و بين السيد عمر « ماتئان وثلاث وستون معركة فى مدة لاتتجاوز عشرين شهرا » وهى المدة التى تبتدئ بتولية غراسيانى قيادة الجيش الايطالى فى برقة وتنتهى بموت السيد عمر المختار . فاذا أضفنا الى هذا العدد الضخم الذى وقع فى مدة عشرين شهرا ماوقع قبله من وقائع فى مدة عشرين سنة كان السيد عمر يحمل فيها علم الجهاد قارب عدد المعارك ألفا

ثبات السيد عمر

استمر السيد عمر هو وتلك الفئة القليلة الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه صامدين لهجمات الطليان ، والطليان لايألون جهدا فى الوصول الى القضاء على تلك الحركة التى أصبح خطرها عليهم محققا ، فتارة يأتونه من قبل الوعود والأمانى المعسولة ، وأخرى من ناحية المفاوضات حتى تحل المسألة بطريق ودى ، وطورا من طريق القوة وسوق الجيوش عليه واستعمال الآلات الجهنمية ، ولكنهم لم يصلوا الى بغيتهم ، ومن أواخر شعبان سنة ١٣٤٠ الى أن احتلت جالو فى رمضان سنة ١٣٤٦ كانت

الثورة لاتزال منتشرة فى الجهة الغربية من سرت شمالا الى فزان جنوبا الى جالو شرقا . وكانت تشغل قسما كبيرا من الجيش الايطالى

سوق الجيوش على السيد عمر

وقد رأى الطليان أن التغلب على السيد عمر المختار ليس بالأمر السهل الذى يكفى فيه قسم من الجيش الايطالى، وأنه لابد من تضافر القوات عليه والتفرغ لهذه الناحية التى أصبحت لا يخشون غيرها ، فاكتفوا لرد هجماته بالحصون التى أقاموها على أسوار المدن وأمامها ، وسيروا جيوشهم الى مابقى من أوزاع الثورة فى أطراف البلاد ، وهى جماعات لاتكاد تذكر الى جانب جماعة السيد عمر وموقعها الطبيعى وقيادته الحازمة

وكما رأى الطليان أنه لابد من سوق الجيوش كلها على السيد عمر رأوا كذلك أنه لابد من قطع المواصلات عليه من كل ناحية؛ وحصره فى الجبل الأخضر بحيث لايتصل باحد ، وقد بدأوا فى تنفيذ قطع المواصلات باحتلال الجغبوب ، ثم الجفر ، وأوجلة ، وجالو ، وفزان ، والكفرة ، وكانوا يعتقدون أنهم باحتلال هذه المناطق يشددون الحصار على السيد عمر بقطع موارد الرزق عليه من كل جهة فيضطر الى التسليم فيوفروا عليهم بهذا العمل مايلاقونه من عناء ببقائه فى الجبل الأخضر فاحتلوا الجغبوب أولا

جغبوب

جغبوب واحة تقع الى الجنوب من طبرق على مسافة ٣٠٠ كيلو متر تحيط بها صحراء قاحلة قاتلة من الشمال والغرب والجنوب على مسافة سبعة أيام من كل جهة

وكانت مركزا للسنوسية قبل الاحتلال الايطالى وبهازاوية للسنوسية بنيت سنة ١٢٧٠ كانت أعدت لحفظ أولاد المسلمين القرآن فيهاوتعليمهم العلم ، وفيها قبر السيد محمد بن على السنوسى جد العائلة السنوسية الأكبر المتوفى سنة ١٢٧٦ عن ٧٤ سنة ، وماء آبارهاملح ، وبها عين جارية لا بأس بها وهى التى يشرب منها سكان تلك الواحة ، وهى تقع على حدود مصر الغربية الجنوبية بقرب سيوة

ولما احتلها الطليان احتجت الحكومة المصرية على هذا العمل بحجة أنها من الاملاك المصرية . ثم شكلت لجنة مختلطة من المصريين والطليان كان اسماعيل صدقى باشا رئيسا لها ، واستمرت المفاوضات نحو سنة ، وبعد معاينة الحدود اتفق الطرفان على دخولها فى الحدود الطرابلسية ، وكتبت وثائق رسمية بين الطرفين ، وصودق عليها فى ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٤ وأصبحت جغبوب من هذا التاريخ تابعة لايطاليا

التمهيد لاحتلال جغبوب

كان السيد صفي الدين في الجغبوب عند ما أرادت ايطاليا احتلالها ، وهي لايخفي عليها أن الجغبوب مركز من مراكز السنوسية الكبيرة ، وتخشى أن يقف في وجهها السيد صفي الدين ، وهي تعتقد أن جيشها اذا وقف يومين فقط في تلك الصحراء المحرقة يموت حتف أنفه، فبذلت مجهودا كبيرا للحصول على أمر من السيد ادريس المقيم اذ ذاك بالقاهرة بانسحاب السيد صفي الدين من جغبوب ، وقد تم لها ما أرادت ، وصدر الأمر وانسحب السيد صفي الدين بناء على هذا الأمر . وكان لدى السيد صفي الدين مدافع وعدد كبير من البنادق تركه المهاجرون عندما أرادوا دخول الحدود المصرية عدا مايوجد في جغبوب من قبل، وهي مركز السنوسية الأكبر الذي لايعتقد انسان أنها تخلو من السلاح،فترك السيد صفي الدين كل هذا وذهب الى سيوة بدون أن يتردد في امتثال أمر السيد ادريس ، وكان الواجب على السيد صفي الدين أن يدافع عن جغبوب وكان أكبر جيش للسيد صفي الدين هي تلك الصحراء المحرقة التي لو وقف فيها الجيش الايطالي يوما واحدا لهلك أو كاد

ومما يرجح صدور الامر من السيد ادريس بتسليم جغبوب ان الجرائد المصرية نشرت اذ ذاك أن تشمبرلن وزير خارجية انجلترا لما زار رومافي جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ وخوطب بشأن تسوية حدود جغبوب وعد أن يبذل وساطته لدى الحكومة المصرية بتسوية مسألة جغبوب وفقا

لرغبات ايطاليا ، و بناء على وساطته ألحت الحكومة المصرية على السيد ادريس بتسليم جغبوب، فكتب هذا الى السيد صفى الدين بالانسحاب وترك جغبوب بدون مقاومة . ومهما يكن من أمر هذه الوساطة ، وهى من الشك بمكان ، فلا يملك السيد ادريس تسليم جغبوب الى الطليان وقد تخلى عن طرابلس قبل احتلال جغبوب بنحو ثلاث سنوات ، و بعد صدور هذا الأمر ما كان يصح من السيد صفى الدين امتثاله ، ولولا صدور هذا الأمر ، ولولم يمتثله السيد صفى الدين ودافع عن جغبوب للقيت ايطاليا فى احتلالها أشد الصعوبات ، ولكان من المحتمل فشلها ، واذا يكون لهذا الفشل تأثير كبير فى سير خطة الدفاع فى برقة

وما كان أشد دهشتنا حينما سمعنا بصدور هذا الأمر من السيد ادريس الذى عقدت له الأمة الطرابلسية البيعة على أن يقودها الى الدفاع عن الوطن وقبل منها ذلك ، وذكر فى جوابه على كتاب البيعة « وجدت من واجبى أن أتلقى طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسئولية العظمى التى رأت الامة تكليفى بها » (انظر ص٣٠)

وهذا التسليم باطل من نفسه ، ومخالف لحقوق التملك لانه وقع بدون اذن المالك الحقيقى وهم الطرابلسيون ، فكان يجب على السيد صفى الدين ألا يقيم له وزنا ، وأن يدافع عن الجغبوب لانها جزء من الوطن الذى لا يملك السيد ادريس ولا غيره أن يسلم منه شبرا واحدا للايطاليين

فتسليم الجغبوب للايطاليين كان أمضى سلاح استعملوه فى قتل السيد عمر ، وأكبر معين على سد الحدود المصرية فى وجوه المجاهدين التى كانت أعظم مورد لرزقهم ، وكانت سبيل النجاة بحياتهم اذا عجزوا عن المقاومة ، وقد أظهرت الايام فيما بعد أن احتلال الجغبوب هو من أكبر العوامل فى قتل حركة السيد عمر ، اذ به تمكن الطليان من مد الاسلاك الشائكة من بردى سليمان الى الجغبوب و بذلك تم حصار السيد عمر ومن معه من الجهات الاربع

الاستعداد لاحتلال جغبوب

بعد أن اختمرت فكرة قطع المواصلات على السيد عمر أعدت ايطاليا جيشا عرمرما لاحتلال تلك الواحة الضاربة فى تخوم الصحراء ، لا لخصبها ، ولا لمناجمها الذهبية ، فهى أفقر واحة وأصغرها فى صحراء ليبيا ، ولكن لتقلم من أظفار تلك الأسود الرابضة فى غابات الجبل الأخضر ، وتمنع عنهم الميرة من مصر وواحاتها . ويعلم الله كم أنفقت على هـذا الجيش ملايين من الفرنكات لا تساوى جغبوب من ناحيتها المادية عشر معشارها

وحدات الجيش

يتألف الجيش الذى عهد اليه باحتلال جغبوب من الفى جندى ،

وعمان فصائل من الاتومو بيلات المسلحة بمدافع المتراليوز ، وستة آتوموبيلات مدرعة ، ودبابتين ، واثنتى عشرة طائرة و ٣٥٠ آتوموبيلا لنقل أمتعة هذا الجيش ومؤونته منها ثلاثة آتوموبيلات لمراسلى الصحف

احتلال جغبوب

لم يبق فى الجغبوب بعد انتقال السيد صفى الدين منها الا بعض السودانيين الفقراء وشيخ زاويتها الشيخ حسين الجزيرى . ولما وصل الجيش الايطالى الى المسلة على مسافة ١٥ كيلومترا الى شمالى جغبوب قابله الشيخ حسين هناك وقدم له خضوعه وأخبره أن البلاد لا يوجد بها أحد ، وأنه لا يعترضه فى سبيله شىء ، فواصل الجيش الايطالى سيره ودخل الجغبوب يوم الاثنين ٢٥ رجب سنة ١٣٤٤ فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، وقد تم احتلالها بدون مقاومة . ورفعت عليها الراية الايطالية لأول مرة فى التاريخ بحضور جماعة من أعيان برقة ومنهم هلال السنوسى الذى صحب الحملة من أول الأمر ، والشارف باشا الغريانى الذى عين حارسا على زاويتها

وكان احتلالها بقيادة الكولونيل روتشتى فى زمن ولاية مومبلى[1]

. . . .

(١) بكسر الباء وتشديد اللام

على برقة الذى زار الجغبوب فى شعبان سنة ١٣٤٤ زيارة رسمية وخطب
له هلال السنوسى ومدح ما أتاه الجيش الايطالى من أعمـال الفتح
فقال : « أن مسالك الجيش الايطالى جدير بكل ثناء »



هلال السنوسى

هلال السنوسى

التجأ هلال السنوسى الى ايطاليا سنة ١٣٣٤ وأسكنته مدينة طرابلس وأجرت عليه نفقات طائلة . وتغلبت عليه نزعة الشباب فلم يبال شيئا ، فكان محل انتقاد من يغار على كرامة العائلة السنوسية . وكثيرا ما استعملته ضد الحركة الوطنية . وفى رمضان سنة ١٣٤٢ فر من جالو بصحبة أسير ايطالى كان هناك قاصدا الى بنغازى ، وأراد أن يتخذ من هذا الايطالى شفيعا لدى الطليان ، ولكنه أدركه عبد من عبيد السنوسية يسمى قحجة وأرجعه الى جالو، ثم نقل الى جغبوب و بقى فيها الى شوال سنة ١٣٤٣ وفى هذا الشهر فر الى مصر، وأرادت الحكومة المصرية ارجاعه ولكن وساطة السفارة الايطالية حالت دون ذلك ، وتمكن من البقاء فى الاسكندرية . ثم لم يلبث أن سافر الى بنغازى على حساب الحكومة الايطالية . وقد اهتبلت الحكومة الايطالية وجوده فى بنغازى فاستعملته فى تخذيل المجاهدين ، فكان يدعو الى الاستسلام لايطاليا والقاء السلاح والركون الى عدم المقاومة

ولما كان الجيش الايطالى فى طريقه لاحتلال الجغبوب كان معه صحبة القائد الايطالى الكولونيل رونشتى . واول من دل على عورة جغبوب

ورفع راية الصليب على زاوية جده . وهو اليوم بين يدى الله يحكم فيه بما يشاء

وكان مع هلال السنوسى فى هـذه الحملة الشارف باشا الغريانى هو وجماعة من الاعيان الذين لو انضموا الى الحركة الوطنية لأفادوا الامة فائدة عظيمة

مشكلة الحدود المصرية

لايخفى أن من الأغراض الأساسية التى اضطرت ايطاليا الى التعجيل باحتلال الجغبوب هو كف المهاجرة من طرابلس الى مصر ، ولما رأت أن احتلال الجغبوب لم يقطع المهاجرة الى مصر تشددت مع الحكومة المصرية بشأن الحدود بين مصر وطرابلس للتوصل الى السيطرة على الحدود ومراقبتها مراقبة عسكرية ظنا منها أن سيطرتها على الحدود تمنع مهاجرة الطرابلسيين الى مصر ، وأن السيد عمر اذا اضطر يوما الى مغادرة الجبل الاخضر ـ كما توهموا ـ لايجد له مفرا فهو لاشك واقع فى قبضتهم . وقد ظهر عقم هذه السياسة بما أبداه السيد عمر من ثبات فى مركزه الى آخر لحظة من حياته . كما أن احتلال جغبوب لم يؤثر على نشاطه ولم يحل دون مضيه فى الدفاع حتى النفس الأخير

احتلال المناطق الغربية

ولما رأى الطليان أن احتلال جغبوب لم يوصل الى النتيجة التى قصدوها منه وهي التأثير على السيد عمر وجهوا قواهم الى احتلال المناطق الغربية الجنوبية ليقطعوا الصلة بينها و بين السيد عمر كما قطعوا الصلة بينه و بين جغبوب

وفى الحقيقة ان صلته بهذه الجهات كانت جد ضعيفة منذ احتلال أجدابية فى ٩ رمضان سنة ١٣٤١ ، ولكنهم أرادوا أن يقضوا على هذه الصلة نهائيا . وكانت قبيلة المغاربة تنزل حوالى العقيلة فأرسلوا الشارف الغريانى فى وفد للتمهيد لفتح هذه الجهة بصفة عمل هدنة بين هذه القبيلة والحكومة وفتح الاسواق ومبادلة التجارة بين الطرفين . وكان رئيس هذه القبيلة الشيخ صالح الاطيوش فلم تنطل عليه هذه الحيلة ، ولكنه استغل هذه الفرصة بكل تحفظ ، وانتهز فتح الاسواق فأخذ منها مايحتاج اليه هو ومن معه

احتلال العقيلة

وفى أثناء هذه المدة كان الطليان يجهزون أنفسهم لاحتلال العقيلة وهى بئر ماء على ساحل البحر يقع فى الجنوب الغربى من بنغازى على

مسافة ٢٨٥ كيلو مترا تنزل بقر به البادية لتشرب منه، وتمكنوا من استمالة فريق كان منشقا على الشيخ صالح الاطيوش . واحتلوا العقيلة فى ربيع الثانى سنة ١٣٤٦ . ونجا صالح الأطيوش ومن معه الى الجفرة . وكان الشارف الغريانى ممن حضروا رفع العلم الايطالى على العقيلة وأدى له السلام الرومانى (١)

تسليم الرضا نفسه للطليان

ولما احتل الايطاليون جغبوب كان الرضا السنوسى موجودا فى جالو بصفته وكيلا على اخيه السيد ادريس ، فأرادت ايطاليا أن توقعه فى شركها فأرسلت اليه تعده بالراحة فى مدينة بنغازى والاحسان اليه بآلاف الفرنكات وتمنيه بالعفو عما جناه ضدها، و بعطفها عليه عطفا يحفظ له كرامته .

وما هو الآن سمع هذه الوعود المعسولة ، و بث فى روعه أبالستها سمومهم حتى أضل رشده واسترسل وراء الأحلام التى تخيلها ، فأرسل الشيخ عبد العزيز العيساوى الى بنغازى لينظر فى الأمر و يمهد له الطريق، وكان الشيخ عبد العزيز هذا مقدما لدى السنوسيين ، ومشهورا بالحذق والدهاء ، ولكنه كان غير موفق فى هذه المرة ، وحيل بينه و بين دهائه وحذقه ، فظن تلك الخيالات حقائق ، وأكد للرضا صدق الطليان وعزمهم على البر بوعودهم ، فحمل الرضا أمتعته وقصد الى زاوية

(١) جاءت هذه الرواية فى «بريد برقة»

القطوفية حيث تلقاه القائد الايطالى الذى ذهب به توا الى اجدابية ثم الى بنغازى ثم الى جزيرة صقلية منفيا حيث لاقى من الاهانة والاحتقار ماتركه يعض بنان الندم على مافعل ، وهو الآن فى بنغازى يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ، وأخذ الشيخ عبد العزيز الى ايطاليا منفيا ثم جئ به الى بنغازى وهو الآن بها

وكان تسليم الرضا نفسه يوم الثلاثاء ١٠ رجب سنة ١٣٤٦ وهى خطوة مهدت لايطاليا طريق التوغل فى الصحراء

وانه ليعييك البحث عن العثور على سبب يبيح للرضا أن يرمى بنفسه فى أحضان الايطاليين ، ولكنه أبى على نفسه أن تحظى بشرف البطولة كما أبى السيد عمر المختار على نفسه أن تدنس بعار الخيانة ، مع الفرق الواضح بين ما كان فيه الرضا من كثرة المجاهدين حوله، و بعد مركزه من العدو، والضرائب التى كان يجبيها من العرب ومن سوقى اوجلة وجالو ، والمواصلات التى كانت له مع فزان والكفرة ، و بين ما كان فيه السيد عمر من الحصار الشديد من كل جهة ، وقطع الصلة بينه و بين أى مخلوق فى الدنيا، وتوالى الهجمات الشديدة عليه

وقدذهب السيد عمر الى الرضا وهو فى جالو يشكو اليه حالةالمجاهدين فى الجبل ، و يرجوه أن يعطيهم شيئا من المال الذى كان يجبيه باسمهم ـلانه كان نائبا عن أخيه السيد ادريس ـ فأبى أن يعطيه شيئا ، وقد ألح السيد عمر مرة ثانية على الرضا ولكنه عبثا حاول أن يوقظ تلك الهمة

المائتة . وأخيرا رجاه أن يشترى للمجاهدين بعض جلود الابل ليستعملوها نعالا يتقون بها حفا الجبل الأخضر فكان كنافخ فى رماد . فرجع السيد عمر الى جبله وقد قطع ما كان فى نفسه من أمل فى الرضا

وفى مدة اقامة الرضا فى جالو ولى عبدا من عبيده اسمه بكتوه[1] حاكما على جالو ليجبى له الضرائب والزكاة ، وهى احدى غلطاته الكثيرة ، فانه ما كان يليق أن يكون عبد مملوك حاكما على بلد كانت مركزا لجميع القبائل العربية الضاربة فى بادية برقة يأوى اليها الشيخ عبدالسلام الكزة والشيخ صالح الاطيوش والشيخ عبد الحميد العبار والسيد عمر المختار وغيرهم من سادات القبائل وأبطالها المشهورين . وتوليةهذا العبد حاكما مما نفر هؤلاء الرؤساء من الرضا وجعلهم ينتقدونه

ولما سلم الرضا نفسه الى الطليان ذهب ابنه الحسن الى السيد عمر فى الجبل الأخضر فأكرمه واحترمه غاية الاحترام ، وسيأتى خبره

احتلال زلة

فى يوم الأحد ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٦ تحركت القوة الايطالية من الجفرة قاصدة احتلال زلة والتقدم الى أوجلة وجالوا لاحتلالهما أيضا . وكان عبد الجليل سيف النصر اذ ذاك بزلة، ولما لم يقو على الدفاع خرج منها واحتلها الايطاليون يوم الأربعاء أول رمضان سنة ١٣٤٦ وفى يوم

(١) بتشديد الكاف

السبت ٤ منه وصل الايطاليون الى آبار تقرفت [١] وكان هنـاك عمر ومحمد ابنا سيف النصر ومعهم بعض المجاهـدين ، فصمدوا للعدو صمود الأبطال ، ودامت بينهم المعركة ثلاث ساعات قتل فيها كثير من الفريقين وانهزم الطليان وثبت المجاهدون فى مكانهم ، ثم استأنف الطليان الهجوم على الآبار فى نفس اليوم ليصلوا الى الماء ، وثبت المجاهـدون ودام القتال الى الساعة الرابعة بعد الظهر. وكانت معركة حمى وطيسها واختلط فيها الفريقان وتنازعوا مواضع الاقدام ، وأخيرا نفد ما بأيدى المجاهدين من الخرطوش فاضطروا الى التقهقر . واعترف الطليان فى بلاغهم «انهم فقدوا فى هذه المعركة خمسة ضباط وجرح منهم خمسة، و يبلغ عدد القتلى والجرحى من الجنود مائتين» وهذا دون الحقيقة بكثير لما اعتاد الطليـان من تهوين الأمر فى بلاغاتهم فيما يتعلق بهم

(١) بسكون القاف والفاء بينهما راء مكسورة

اوجلة وجالو

واحتان كبيرتان تقعان فى الجنوب الغربى من بنغازى الاولى على مسافة ٢٤٠ كيلو مترا منها والثانية على مسافة ٢٢٠ كيلو مترا ، وفيهما نخيل كثير . وسكان أوجلة من البربر ، ويتكلمون البربرية ، ويعرفون العربية وبها قبر سيدى عبد الله بن أبى سرح الصحابى الجليل ؛ أما سكان جالو فأصلهم من العرب ، ويسمون المجابرة ولكثرة تجارتهم مع السودان واختلاطهم بالسودانيين من قرون مضت صاروا خليطا من العرب والسودان ، وفى كل من أوجلة وجالو زاوية للسادة السنوسية ، وتقع جالو شرقى أوجلة على مسافة ٣٠ كيلو مترا تقريبا والمسافة بينهما وبين بنغازى أكثرها أرض صالحة للزراعة ، وتزرع على المطر لأن الماء فيها قليل

احتلال اوجلة وجالو

وبينما كانت الحرب دائرة فى زلة لاحتلالها كانت التدابير تتخذ لاحتلال أوجلة وجالو . فتحرك الجيش الايطالى من الحسيات [1] بقيادة

---

(١) بكسر الحاء وتشديد الياء

الـكولونيل مزتى فى يوم السبت ٢٦ شعبان سنة ١٣٤٦ قاصداأوجلة وجالو. وفى يوم الخميس ٢ رمضان سنة ١٣٤٦ وصل الجيش معطن السبيل بقرب أوجلة. وفى هذا اليوم خرج أعيان أوجلة لتقديم الطاعة للقائد مزتى هناك وفى يوم الجمعة ٣ رمضان احتل الجيش الايطالى أوجلة . وفى يوم السبت ٤ منه احتل جالو . وفى يوم الأحد ٥ منه احتل جخرة [1] وهى على مسافة ٣٥ كيلو مترا الى الشمال الشرقى من جالو

الصديق السنوسى فى جالو

ولما سلم الرضا نفسه الى الطليان ترك ابنه الصديق فى جالو نائبا عنه . ولما أحس هذا بزحف الجيش الايطالى على جالو خرج منها الى الـكفره وترك كل شىء . ويقول أهالى جالو انهم كانوا مستائين منه بما كان يفرض عليهم من الضرائب . وكان يسلط عليهم عبيده فيلحقون بهم كل اهانة فى سبيل جباية مايفرضه عليهم . وكانت صدورهم موغرة عليه، ولولا بقية من حياء كانت تمنعهم من أن يمدوا اليه أيديهم لفعلوا . هذه رواية أهل جالو نرويها بكل تحفظ

اثر احتلال أوجلة وجالو

وكان احتـلال أوجلة وجالو شديد الوقع على النفوس لأنهما المنفذ الوحيد الى الصحراء الذى بقى بعد احتلال الجغبوب ، وكان من المحتمل أن يؤثر فى موقف السيد عمر ومن معه ، ولـكن لمـا اتصف به السيد

---

(١) بتشديد الراء

عمر من رباطة الجأش وحسن القيادة لم يكن له من الوقع عليهم أكثر من غيره من الحوادث التي كانت تمر بهم في كل آن

وظن الايطاليون أنهم باحتلالهم أوجلة وجالو وصلوا الى بغيتهم أو كادوا ، ولكن ماأبداه عمر المختار من النشاط في الغزو والهجوم على أسوار درنة وما حولها أفهمهم أن كل ما أتوه من الأعمال في برقة لم يؤثر على موقف السيد عمر ، وأن الوصول اليه في جبله لايزال من الرموز التي لم يهتدوا الى حلها

الانقلاب السياسى

وقد حصل انقلاب سياسى فى الوزارة الايطالية بسبب الخلاف القائم بين الوزراء على السياسة التى يجب اتباعها فى طرابلس و برقة للتعجيل فى القضاء على السيد عمر. ففى ديسمبر سنة ١٩٢٨ استقال فدرزونى و زير المستعمرات فى روما، وديبونو حاكم طرابلس، وفيردزى حاكم برقة. وأعلن موسولينى توحيدا لادارة فى طرابلس وبرقة وعين الجنرال بادوليو حاكما عليهما. وكان بادوليو هذا من القواد الذين اشتهروا فى الحرب العظمى بالثبات والاقدام، وكان موسولينى يرى فيه المنقذ الوحيد للسياسة الايطالية فى طرابلس مما حل بها من الفشل والتذبذب طوال ثمان عشرة سنة

وأول ما ابتدأ به بادوليو أمره الدعوة الى الاستسلام الى الحكومة، ووزع منشورات فى جميع البلدان يدعو الناس لذلك، ويهدد بالعقاب الصارم الذى لاتصحبه رحمة كل من استمر على مناوأة الحكومة والخروج عليها، وأصدر عفوا عن كل السياسيين المبعدين

ولم يلبث أن أخذ يستعد لتنفيذ خطته التى جاء من أجلها وهى القضاء على حركة السيد عمر تمهيدا لاستقرار السياسة الاستعمارية الايطالية فى طرابلس. فحشد جيوشا كثيرة فى ذى القعدة سنة ١٣٤٧ لمهاجمة من بقى

من المجاهدين فى الصحراء بين غدامس وسرت تمهيـدا لاحتلال فزان ، وكانت هذه الجيوش بقيادة عا كف امسيك الغريانى من ناحية سرت ، وخليفة الزاوى من ناحية القريات . وقد استمرت هـذه المناوشات بين الفريقين فيما بين غدامس غربا وسرت شرقا وأرفلة شمالا وفزان جنوبا نحو ثمـانية أشهر كان لأحمد سيف النصر فيهـا مواقف محمودة ، ولحقت بالايطاليين أضرار فادحة وخسائر جمة

فزان

عدة واحات تابعــة لطرابلس تقع فى جنوبيها على مسافة ٨٣٠ كيلومترا ، وعاصمتها مرزق وترتفع على سطح البحر ٥٥٩ مترا وسكانها الأصليون الفزازنة وهم يتحدرون من سـلالة بربرية الأصل ، وقيل أصلهم من الجرمنت (وهم أمة من أمم افريقية القـديمة كانت تسكن الجنوب الشرقى من بلاد لو بيا وقد أغار عليهـا « كورنيلوس بالوس » الرومانى سنة ٢١ قبــل الميلاد فتغلب عليها وضم بلادها الى ممتلـكات الرومان ، واتصلت حدود مملـكة الرومان بحدود بلاد النوبة ، وهم متوطنون فيها ، ويسكنها كثير من العـرب أكثرهم رحل ، وأشهر القبائل العــربية فيها ثلاثة : قبيلة رياح وينزلون سوكنة والحروج غربا ، وقبيــلة الحطمان وينزلون فى هــذه الجهات غربى القبيلة الأولى . وقبيلة القارحة ومنــازلهم حول وادى الشاطئ وفوق الحمادة . والى الغرب والجنوب من فزان تقيم قبــائل التوارق وهم من البربر .

ومناخ فزان شديد الحرارة . واذا هبت رياح الجنوب تبلغ الحرارة فى الظل ٤٠ درجة وارضها خصبة و بها ينابيع من الماء كثيرة وغزيرة .

وأهم حاصلاتها التمر وفيها من النخل ما يزيد على نصف المليون ، ومن أشهر مدنها مرزق قاعدتها ، وسوكنة ، وزويلة . وأهلها يغلب عليهم الكسل وهم دائما محكومون لغيرهم

احتلال فزان

وقد احتل الجيش الايطالى مرزق عاصمة فزان يوم الجمعة ٢٤ شعبان سنة ١٣٤٨ وباحتلال فزان انتهت المقاومة فى الجهة الجنوبية من طرابلس بعد ان استمرت ثمان سنوات من ابتداء الحرب الأخيرة فى جمادى الآخرة سنة ١٣٤٠

وفى أثناء اشتغال الطليان باحتلال الجهة الجنوبية من طرابلس كان السيد عمر يقوم بالهجوم على درنة وما حولها ويبث دعايته فى العرب الموالين للطليان . وكان الطليان يكتفون فى صد هجومه باستعمال الاستحكامات والحصون ريثما ينتهون من جنوبى طرابلس ليجمعوا جيوشهم كلها فى برقة ويوجهوها الى السيد عمر

وبعد احتلال فزان والقضاء على الثورة فى الجهة الجنوبية من طرابلس توجهت جهود الطليان الى السيد عمر ، وأراد بادوليو أن يقضى على حركته من طريق المفاوضات فدعاه اليها ، وكان يرى أن السيد عمر قد يرضى بأى شىء تنتجه المفاوضات ولو باصدار عفو يكفل له حياته هو ومن معه نظرا لموقفه الحرج من انقطاع المواصلات من كل جهة ، خصوصا بعد احتلال جغبوب وجالو ، ومن انقطاع الميرة وقلة المؤونة عندهم

ولـكن هذا كله ما كان ليغيب عن فطنة السيـد عمر ، إلا أنه ما كان ليؤثر فى عزيمته أو يفت فى عضده ، لأنه ما حمله على رفع السـلاح فى وجوه الايطاليين الا الدفاع عن وطنه وانقاذ امته من مخالب الاستعمار. والدفاع عن الوطن ، والذود عن الشرف أمر مقـدس لدى جميـع الأمم البشرية ، وجاءت به جميع الشرائـع السماوية ، وكل القوانين الوضعية مجمعة على وجوبه . فهو يقوم بهـذا الواجب المحتم مهما كلفه الأمر أو يوفق الى أدائه . ولظن أن هذه المفاوضات قد تأتى بخير، وليقيم الدليل العملى على حبه للسلم ، أجاب بادوليو لمـا طلبه ودخل معه فى المفاوضات

واسمع مادار بـين الطرفين من حديث المفاوضات حتى يتبين لك مايتصف به السيد عمر من حب السـلام والصراحة فى القول والوفاء بالعهد ، وما يحمله دعاة الاستعمار من البغض للشرقيين والاصرار على سفك الدماء للوصول الى استعباد الأمم ، والمراوغة فى أقوالهم للتنـكيل بخصومهم مهما كانوا شرفاء

حديث المفاوضات

هذا ملخص مادار بين السيد عمر والطليان من المفاوضات ، ومنه يعلم مايرمى اليه الايطاليون من وراء هذه المفاوضات

« فى ٥ رمضان سنة ١٣٤٧ ألقت الطائرات على المجاهدين منشورا باسم بادوليو والى طرابلس وبرقة يأمرهم فيه بتسليم السلاح والخضوع لحكومته قبل أن يأتيهم بجنود لاقبل لهم بهـا ، واذا لا ينتظرون منه رحمة ولا شفقة ، فلم يأبهوا لهذا المنشور واستمروا على ماهم فيه .

وفى ٣٠ رمضان المذكور أرسل متصرف المرج الكولونيل باريلا[1] كتابا مع موسى المسمارى يطلب فيه الاجتماع بالسيد عمر ، وفى غداة يوم العيد وقبل الصلاة هجم الطليان على المجاهـدين واستمرت المعركة الى العصر وقتل رئيس الحملة بيش

وفى ٣ شوال بعث متصرف درنة دود ياشى كتابا الى السيـد عمر يطلب فيه الاجتماع به فى بيت على باشا العبيدى يوم ٨ شوال ، فحضر اليه فى هـذا اليوم ، وكان برفقة دود ياشى كثير من الضباط ومشايخ البلاد وأعيانها منهم عبد القادر بو بريدان عمدة العبيدات وانتهت هذه

. . . .

(١) بفتح اللام مشددا

الجلسة ولم تحصل نتيجة ، واتفقوا على أن يجتمعوا فى ١٥ شوال فى سانية القيقب .

وفى اليوم المذكور اجتمعوا ، وكان مع دود ياشى لو بيلو (١) فذكر لو بيلو أن شريعة الاسلام لا تسمح لكم بهذه الحرب التى لاطاقة لكم بها . وان نبيكم لايسمح لكم بمقاومة الدولة التى لاتقدرون على مقاومتها (٢) والحكومة مستعدة أن تتعهد بمعاشات شهرية لكم ولأتباعكم ان أنتم سلمتم لها سلاحكم ودخلتم تحت حكمها . فامتعض السيد عمر لهذه اللهجة الشديدة وقال له :

أنا أعلم عنك انك ارتكبت من الشدة مع الأهالى الخاضعين لكم مادل على أنك رجل لاتريد الخير لهذه البلاد ولا لحكومتك . وها أنت اليوم تطلب منا تسليم السلاح وتهددنا بجيوش حكومتك فى مجلس أنت دعوتنا اليه للتفاهم فيما يحل هذه المشكلة القائمة بيننا و بينكم . أما قوة حكومتك التى تهددنا بها فقد عرفنا آخر ما عندكم منها . وها نحن واقفون أمامها نحو ثمانى عشرة سنة ولا زلنا بعون الله كما كنا . وكان الانفعال باديا على السيد عمر فانفض المجلس بدون نتيجة وقد عادت الأمور الى ما كانت عليه

وفى يوم ١٧ شوال أتى البريد من باريلا حاكم المرج يطلب فيه

---

(١) بضم اللام الأخيرة مشددة (٢) أخذ هذا من منشور الرضى الآتى

الاجتماع بالسيد عمر فى يوم ٢٥ منه فى الشليونى [1] . وقد ذهب السيد عمر فى هذا اليوم وحصل الاجتماع ، وكان برفقة باريلا ضباط وأعيان من البلد . فقال باريلا : أنا جئت لا لأغضبك كما فعل دود ياشى ولو بيلو ، ولكن جئت لنتذاكر فيما يريح الطرفين. فقال له السيد عمر : أنا أول من يوافق على كل مافيه راحة البلاد . وكانت جلسة يسودها الاحترام المتبادل ، وانتهت على أن يعودوا الى الاجتماع فى ١٠ ذى القعدة فى بئر المغارة بوادى القصور

وفى ١٠ ذى القعدة حضر الفريقان فى المكان المذكور ، وكان مع باريلا عبد الله بلعون ، وخالد الحرى ، وعلى باشا العبيدى و رويفع فركاش . وقد دار الحديث طويلا ، ولما رأى السيدعمر أن هذه المذاكرة لاتؤدى الى نتيجة طلب الى باريلا أن يأتيه بالرضا السنوسى ـ وكان أسيرا عندهم (انظر ص ٥٨) ـ وكان السيد عمر يؤمل أن يحصل منه على معلومات تفيده وانتهت الجلسة على أن يعودوا الى الاجتماع يوم ٢٥ ذى القعدة فى المكان نفسه

وفى ٢٥ منه حضر الفريقان وجاء الرضا مع باريلا وطال الاجتماع وانتهت الجلسة على غير نتيجة

وفى يوم ٣٠ ذى القعدة جاء البريد من وكيل الوالى سيشليانى يطلب فيه الاجتماع بالسيد عمر ، فأفاده السيد عمر بأنه سيكون ذلك

(١) بفتح الشين وسكون اللام

يوم٨ ذى الحجة فى «قندوله» بقرب سيدى رويفع . وفى اليوم المذكور جاء السيد عمر الى محل الاجتماع وكان برفقة سيشلياني باريلا ، وكانباني وعدة ضباط و بعض أعيان من الوطنيين الملتجئين الى الحكومة . ولما قارب السيد عمر محل الاجتماع رأى قوة عظيمة من الجيش الايطالى تحيط بمكان الاجتماع فأيقن انها مكيدة دبرت له وكانت معه قوة كبيرة من الفرسان كعادته فى كل اجتماعات المفاوضات، فقسمها الى قسمين وجعل كل قسم تجاه قسم من قوة العدو وتقدم هو و بعض الأعيان الى محل الاجتماع ونظرا لما يحيط بالموقف من شكوك لم يطل هذا الاجتماع ، وكان سيشلياني معتزما الايقاع بالسيد عمر ، ولكنها حيلة لم تنطل ، وفطنة السيد عمر أحبطت عمله

وفى يوم ١٢ ذى الحجة جاء البريد من دود ياشى الى السيد عمر يطلب الاجتماع به ، فرد عليه أنه سيكون ذلك فى يوم ٢٠ منه

وفى اليوم المذكور حضر السيد عمر ، وحضر دودياشى ، ولو بللو ، و باريلا ، ومعهم من اعيان البلاد : عبد القادر بو بريدان ، وعلى باشا العبيدى ومحمد الصيفاط ، ومحمد بوشديق ، وخالد الحمرى ، ومحمد بوفارس ، ورويفع فركاش ، و بعد تبادل التحيات شرعوا فى المذاكرة . وقد أطال السيد عمر فى شرح مطالبه ، وذكر لهم أن المسئول عن فشل المفاوضات المتقدمة هم مندو بو حكومتكم لأنهم دائما يظهرون التشدد من طرفهم . وفى كثير من الأحيان كانوا يخلفون وعودهم . ثم قال لهم : أنا أطلب أن

يتم هذا الاتفاق بحضور مندوب من الحكومة المصرية، ومندوب من الحكومة التونسية ، ويكون حضور هذين المندوبين كدليل على رغبة صادقة من الطرفين فى الاتفاق . فاعترض دودياشي على هـذا الطلب قائلا : لالزوم لحضور من ذكرت لاننا معكم ١٨ سنة لم نخنكم فى شيء ولم نفعل معكم مايخل بالمروءة . وقد أثارت هذه الجملة فى السيد عمر حميته وبدت عليه علامات الغضب فأخذ يعدد لهم مساوئهم . ويذكرهم بما فعله مزيني بقبيلة العبيدات المسالمين لهم وأخذهم كل مايمتلكون حتى حلى النساء من آذانهم، وبما فعله لوبيلو مع عائلة ابراهيم « العواقير » وهم مسالمون أيضا حيث أخذ منهم أربعين رجلا وقتلهم بالرصاص وأمر بالسيارات أن تمر عليهم فما زالت تدهسهم ذهابا وايابا حتى اختلطوا بالتراب . وأطال فى ذكر مثل هذه المآسى حتى كاد يقع مالا تحمد عقباه ، فتدخـل بعض الأعيان الحاضرين وقال : نحن ماجئنا للمعاتبة ولـكن جئنا لنتذاكر فى المصلحة العامة . فقال السيد عمر انا أحرص الجميع على هذا ولـكن الشيء بالشيء يذكر

ثم ابتدأوا فى المذاكرة ، فقال بعض الحاضرين : أنا أقترح أن يكون لنا من الامتياز ما لجارتينا مصر وتونس .

فقال السيد عمر : ان كانت الحـكومة الايطالية توافق على ذلك فأنا موافق .

فقال دودياشي : ان حكومتى ترغب فى راحة البلاد رغبة أكيدة ولا أظنها تتأخر فى قبول مطالبـكم . وانتهت الجلسة على أن يراجع دودياشي

حكومته ثم يعود اليهم بالخبر الصحيح

وفى يوم ٢٨ ذى الحجة اجتمع السيد عمر بالجنرال سيشلياني ومعه دودياشي و باريلا و بعض الأعيان من العرب . فذكر سيشلياني ماتعانيه البلاد من المتاعب وما تجره الحرب من الخراب على المتحاربين . وذكر أنه حضر باسم الجنرال بادوليو والى القطرين ، وان الجنرال بادوليو يحمل لهذه البلاد نواياحسنة ، وأنه سيبذل كل جهده فى سبيل راحة الطرفين، فشكر له السيدعمر ماأبداه من اللباقة فى خطابه وقال له : نحن سئمنا كثرة الكلام ، ونحن الى العمل أحوج منا الىالقول . فقال له أنا ماجئت الا لتنفيذمااتفقتم عليه فىالجلسة الماضية أنت والمتصرف دودياشي والأعيان، وأرجوأن تذكروا لى الشروط التى تطلبونها

شروط السيد عمر

فقال السيد عمر : نحن نطلب :

أولا ـ أن يحضر مندوب من طرف الحكومة المصرية ، ومندوب من طرف الحكومة التونسية ليشهدا الشروط التى تتفق عليها ، و يكون ناقض العهد منا مسئولا أمام العالم بشهادتهما

ثانيا ـ لاتتدخل الحكومة الايطالية فى أمور ديننا ، كما أن لنا الحق فى تأديب كل من يخرج عن الدين أو يهزأ بتعاليمه ، أو يتهاون فى القيام بواجباته

ثالثا ــ أن تــكون اللغة العربية معترفا بها رسميا فى دوائر الحــكومة الايطالية

رابعا ــ أن يكون الموظفون من الوطنيين والايطاليين

خامسا ــ أن تفتح مدارس خاصــة يدرس فيها التوحيــد ، والتفسير والحديث والفقه وسائر علوم الدين

سادسا ــ أن تفتح مدارس لتعليم اللغة العربية والايطالية على السواء وألا يحرم الوطنيون من التعليم العالى ، ويلغى القانون الذى وضعتموه سنة ١٩٢٣ الذى ينص على منع الوطنيين من دخول المدارس العالية ، كما يلغى القانون الذى وضعتموه فى السنة نفسها بعدم المساواة فى الحقوق بين الوطنى والايطالى الا اذا تجنس بالجنسية الايطالية

سابعا ــ أن تــكون ادارة الأوقاف تحت تصرف هيئة مسلمة باشراف رئيس مسلم ويكون لها نظار مسلمون

ثامنا ــ أن ترجع الحــكومة جميع الأملاك التى اغتصبتها من الأهالى

تاسعا ــ أن يكون للأمة رئيس منها تختاره بنفسها ، ويكون لهــذا الرئيس مجلس من كبار الأمة له حق الاشراف على مصالحها ، كما يــكون للقاضى القول الفصل بين الوطنيين

عاشرا ــ أن نــكون أحرارا فى حمــل السلاح على اختلاف أنواعه ، كما يكون لنا الحق فى جلبه من الخارج اذا امتنعت الحــكومة الايطالية من بيعه لنا

وقد تسلم سيشلياني هذه الشروط و وعد بأن يعرضها على الوالى بادوليو و يوافى السيد عمر بما يتم فى أقرب وقت ممكن وعلى هذا انتهت الجلسة

بادوليو والسيد عمر

وفى يوم ٥ المحرم سنة ١٣٤٨ اجتمع السيد عمر بالوالى بادوليو فى سيدى رحومه[1] ، وكان معه وكيله سيشلياني وعدد كبير من الضباط و بعض السياسيين الايطاليين والشارف الغريانى ، وعلى باشا العبيدى ، وعبدالقادر بو بر يدان ، وكثير من مشايخ العرب

و بعد تبادل التحية عرف بينهم باريلا وكان السيد عمر يظن أن الوالى بادوليو جاء للموافقة على الشروط التى طلبها منه وكيله فى الجلسة السابقة، ولكن بادوليو أخذ يشرح نياته وما جاء من أجله ، فخاطب السيد عمر بقوله : اننى أتيت للاتفاق معكم على ما يكفل راحة البلاد ، واننى مسرور بهذا الاجتماع الذى عقدناه لنضع حدا تنتهى اليه هذه الحروب التى منعت البلاد من العمران الذى جئنا من أجله . ولولا هذه الحروب لرأيت بلادك فى حالة أخرى لم تكن تخطر على بالك . وقد أدرك السيد عمر أن المرشال بادوليو يعرض بأنه هو القائم بهذه الحروب . وهو الذى كان سببا فى تأخر البلاد ، فقال السيد عمر : صحيح ان البلاد كانت تكون فى حالة ...

(١) اسم صاحب قبر هناك سمى المكان باسمه

أخرى لولا هذه الحرب . ولولا هذه الحروب أيضا لما رأيت فيها عربيا يمشي على وجه هذه الارض ، ولرأيت فيها ايطاليين يسكنونها و يعمرون دور الوطنيين

فقال المرشال بادوليو : أنا ماقصدت الى ماذكرت ، بل أردت العمران وكثرة المزروعات وانشاء القرى وتعبيد الطرق وتشجيع الصناعة والتجارة ، واني أؤمل ألا تنتهي هذه الجلسة حتى نتفق على مافيه خير البلاد

فقال السيد عمر : ان حكومتك اتفقت كثيرا مع الطرابلسيين وتعهدت لهم بشروط ولكنها لم تف لهم بشيء منها ، فان كان مصير هذه الهدنة مصير سابقاتها اللهم لاخير لنا فيها ، وان كنتم تريدون راحة البلاد حقيقة فما عليكم الا أن تحضروا لنا مندوبا من الحكومة المصرية ومندوبا من الحكومة التونسية ثم تمضى هذه الشروط التى سلمتها لوكيلك الجنرال سيشلياني في الجلسة السابقة ، وبذلك نقدم الى البلاد خدمة نافعة ، ويكون كل منا قد برهن على صدق نيته

فقال بادوليو سنحضر مندوبي الدول ، وسيتم الاتفاق على ماذكرت .

ثم قام السيد الفضيل بوعمر وقرأ الشروط التى اتفقوا عليها في الجلسة السابقة فوافق عليها الطرفان ، وتسلمها المرشال بادوليو ووعد بأن يحضر مندوبي الدول ويجتمعوا في موعد يحدد فيما بعد



صورة اجتماع السيد عمر مع المارشال بادوليو ممثل السلطة الايطالية العليا في طرابلس للمفاوضة للوصول الى صلح يريح الطرفين. ويرى السيد عمر في الوسط، والى يمينه الحسن بن الرضا فالمارشال بادوليو فالسيد الفضيل بو عمر. والى يسار السيد عمر سيشلياني حاكم برقة ووراءه الشارف باشا الغرياني

و بعد رجوع بادوليو الى بنغازى أشاع أنه تم الصلح بينه و بين عمر المختار وسحب الجنود من خطوط القتال . ولم يعلن شيئا من الشروط التى اتفقوا عليها . ومكثوا ينتظرون رجوعه اليهم مدة شهر فلم يرجع . فأرسل السيد عمر الى وكيله سيشلياني فى بنغازى يذكره بوعد بادوليو ويستحثه فى تعجيل الأمر ، واتفقوا على أن يجتمعوا فى سيدى رويفع فى ١٢ صفر سنة ١٣٤٨

الحسن بن الرضا السنوسى

وفى هذا اليوم اجتمع السيد عمر وسيشلياني فى سيدى رويفع وذكره السيد عمر بوعدهم ، فقال سيشلياني : ان هذا الاتفاق لا يتم الا فى بنغازى ، فلم يمانع السيد عمر فى ذلك وأرسل معه الحسن بن الرضا السنوسى لينوب عنه فى امضاء الصلح على تلك الشروط التى اتفقوا عليها وتسلمها بادوليو فى اجتماع سيدى رحومة ، فمكث الحسن فى بنغازى ١٥ يوما وجاء الى السيد عمر يحمل فى حقيبته شروطا غير التى اتفقوا عليها ، ولم يذكروا من شروط السيد عمر شرطا واحدا

شروط الحسن

وهذه هى الشروط التى جاء بها الحسن بن الرضا :

«١ ـ تعتبر الحكومة الايطالية عساكر عمر المختار دورية وطنية (١)

٢ ـ تقيم عساكر عمر المختار بنقطة جردس العبيد

٣ ـ تعترف الحكومة برتب الضباط وتصرف لهم شهريات هم وعساكرهم

٤ ـ يكون جميع ضباط وعساكر عمر المختار تحت أمر ضابط ايطالى

٥ ـ يكون للحكومة الايطالية الحق فى نقل عساكر عمر المختار لأى جهة شاءت

٦ ـ يكون للحكومة الحق فى تغيير السلاح الذى بأيدى عساكر عمر المختار بأى سلاح شاءت

٧ ـ يكون للحكومة الحق فى تسريح بعض عساكر عمر المختار اذا رأت ذلك

٨ ـ يكون للحكومة الحق فى معاقبة من ارتكب جريمة قبل هذا الصلح من عساكر عمر المختار، وليس لعمر المختار حق الاعتراض على ذلك

٩ ـ يكون للحكومة الحق فى رفض الضباط الذين لا يعرفون اللغة الايطالية

١٠ ـ تتولى الحكومة أمر العرب الذين تحت عمر المختار الآن على ألا تكون لعمر المختار أى سيطرة عليهم

---

(١) يلاحظ ان السيد عمر لم يعتبرهم جنودا له، ولم يحتفظ لنفسه باى صفة من صفات الرئاسة، وانما اشترط ان يكون للامة رئيس تختاره بنفسها ويكون له مجلس من كبار الأمة له حق الاشراف على مصالحها

١١ ـ تتعهد الحكومة الايطالية للسيد حسن السنوسى بمعاش قدره خمسون ألف فرنك فى الشهر، وتبنى له قصرا فخما فى مدينة بنغازى

١٢ ـ تتعهد الحكومة الايطالية لعمر بن المختار بمعاش قدره خمسون ألف فرنك فى الشهر وتصلح له زاوية القصور وتبنى له فيها مسجدا ومئذنة و بيتا يليق بمقامه ، وتأتى له بمعلمين يعلمون الأولاد ، ولا تمنع الأهالى الاتصال به »

ولما اطلع السيد عمر على هذه الشروط قال للحسن : «غروك ياابنى بمتاع الدنيا الفانى و رضيت بهذه الشروط المزرية !! »

قال الحسن قد اتفقت مع الحكومة على هذه الشروط ولا يمكننى أن أنقضها . فعندئذ جمع السيد عمر المجاهدين ومشايخ العرب وتلى عليهم هذه الشروط التى أتى بها الحسن ، وقال لهم : انى لاأرضى بهذه الشروط ، وأفضل الموت جوعا وعطشا ولا ألقى بنفسى واخوانى بين أيدى الايطاليين يتصرفون فينا كيف شاءوا، وطلب اليهم أن يبدوا رأيهم ان كانوا راضين بها أو غير راضين ، فقالوا لانرضى بشرط من هذه الشروط . فقال الحسن لابد من قبولها ، فقال له الشيخ الشريف القاسم العبيدى : انك لست خالقا بل انت مخلوق مثلنا ، ولاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق . فعند ذلك قام الحسن السنوسى مغضبا وقال: ليقم معى كل من يريد أن يتبعنى، فقام معه مايقارب ثلاثمائة رجل، ونزلوا على بئر على مسافة ساعتين من النقطة الايطالية بمراوة ، وعين معه الطليان ميلا كرى . ومن هذا الوقت

انقطعت العلاقة بين السيد عمر والحسن بن الرضا

فأرسل السيد عمر الى سيشلياني وكيل الوالى ببنغازى يطلب منه التوقيع على الشروط التي اتفقوا عليها ، فلم يرد عليه، فكتب اليه ثانية فلم يرد بشئ ، وبقى السيد عمر فى انتظار وفاء العهد من بادوليو نحو ستة شهور فلم يرد عليه. وقد أراد الطليان أن يستهووا السيد عمر بالمال فأرسلوا اليه مع بلعون مدير الحاسة فى ربيع الأول سنة ١٣٤٨ يعرضون عليه مليون فرنك هدية فرفضها وفضل البقاء مع اخوانه الى أن يأذن الله بلقائه عزيزا مكرما

وقد خطر ببال السيد عمر أنه ربما كان وكيل الوالى لا يبلغه حقيقة الأمر، فأراد أن ينفى هذا الخاطر فكتب اليه ثالثة يطلب الاجتماع به ليعلم منه مشافهة سبب هذا التأخير ، وذكر له فى كتابه : « وانى أعد رفض مقابلتى اعلانا منك بقطع المفاوضة ونقضا للعهد ، وعليه فستعود الأمور الى ما كانت عليه » فرجع البريد مع أبى بكر البرعصى يقول فيه على لسان الشارف الغريانى مستشار الحكومة فى بنغازى : « ان الحكومة مستعدة فى كل وقت لمقابلة الحوادث ، فلا حاجة لاعلانها بعود الأمور الى ما كانت عليه »

انتهاء المفاوضات

والى هنا انتهى حديث المفاوضات ، وتحقق السيد عمر أن الطليان لايرغبون فى الصلح ، وانهم انما يطلبون الهدنة لكسب الوقت فقط .

وقد كتب هذا الحديث باذن السيد عمر ، و وافق عليه بعد كتابته وعرضه عليه . ومنه يتبين للقارىء أن السيد عمر لم يأل جهدا فى طلب الصلح مع الطليان ، وقد دامت هذه المفاوضات ستة شهور كان السيد عمر فيها مثال الاخلاص والوفاء . و بقى سبعة شهور بعد آخر اجتماع مع سيشلیانی فی سیدی ر و یفع ينتظر رد الجواب ، ولم يبد منه ماينقض العهد ، حتى هاجمته الطائرات فى ١٥ شعبان سنة ١٣٤٨ فكان جوابا صريحا من الطليان بنقض العهد واعلان الحرب

القبض على الحسن

وفى اليوم العاشر من شعبان سنة ١٣٤٨ قدم على السيد عمر خليفة بوقليوان البرعصى ومعه نحو مائتى رجل ممن كانوا انضموا الى الحسن السنوسى ، فسأله عما جرى لهم ، فقال له : ان الطليان أرادوا أن يأخذوا السلاح من جماعة الحسن فطلبوا اليهم فى يوم ٨ شعبان أن يأتوا الى المركز ليأخذوا شهرياتهم ، فذهب بعضهم وتأخر البعض ، وأرسلوا الى الحسن ليبيت معهم فى المركز فاعتذر فى تلك الليلة ، ولماأصبحوا وجدوا أنفسهم محاطين بجيوش الطليان ، فأمرهم الحسن بعدم الدفاع و ركب سيارته [1] وذهب لينظر فى الأمر،فلقيه القائد الايطالى وأنزله من السيارة

(١) هذه السيارة اهدتها له ايطاليا لما أرسله السيد عمر الى بنغازى لينوب عنه فى امضاء شروط الصلح ، وقد ألغى جميع شروط السيد عمر وجاء بشروط استعمارية بحتة (انظر ص ٨٢)

وأركبه بغلا و بعث به الى المركز، وقتل وأسر الايطاليون من جماعة الحسن نحو ١١٠ وذهب بالحسن ومن معه الى بنغازى ، وشنق الطليان حاشيته ومنهم الحاج عبد السلام السودانى، وسجنوا الحسن ومعه بعض الأعيان

وفى يوم ١٥ شعبان جاءت الطائرات الى المجاهدين وألقت عليهم مقذوفاتها ، وأسقط المجاهدون واحدة عليها هذه العلامة (C . C . M) وكان مجىء هذه الطائرات جوابا للسيد عمر عما كان ينتظره من بادوليو من امضاء شروط الهدنة . ونقضا للعهد ، واعلانا للحرب التى امتدت الى أن استشهد السيد عمر عليه رحمة الله

ولما أرسل السيد عمر الحسن بن الرضا الى بنغازى لينوب عنه فى التوقيع على الشروط التى اتفق عليها السيد عمر مع الطليان فانه ما كاد يصل بنغازى حتى أحاط به الايطاليون وسماسرتهم، و بذلوا له من الوعود والأمانى المعسولة مابذلوه لأبيه من قبل ، فاغتر بوعودهم وخرج من بنغازى يحمل تعاليم سيشليانى ، فشق عصا الطاعة على السيد عمر و بنى خيامه بالقرب منه، وصار يدعو الناس الى الانفضاض من حوله جهرة وعلى رءوس الاشهاد وصارت تأتيه الأرزاق والنقود من الطليان بكثرة ، وصار هو ومن معه من المنشقين فى بحبوحة من العيش ، فى حين أن السيد عمر ومن معه قد لايجدون القوت الضرورى فى كثير من الأوقات . وقد جعل له الطليان مرتبا شهريا قالوا انه بلغ خمسين الف فرنك .وقد بذل السيد عمر مجهودا كبيرا فى ارجاع الحسن الى رشده وصرفه عن هذا الغى الذى لايليق بالكرامة ، والذى يضر الى حد بعيد بكرامة العائلة السنوسية ، ولكنه عبثا حاول ذلك « ومن يضلل الله فما له من هاد »



الحسن بن الرضا السنوسى

وقد استمر الحسن فى انشقاقه حوالى ستة شهور من أواخر صفر سنة ١٣٤٨ الى ٨ شعبان من هذه السنة ورسل الايطاليين تغدو عليه وتروح على مرأى ومسمع من السيد عمر وهو لم يمد اليه يده بسوء

ولما أيقنت ايطاليا أن مركز السيد عمر لا يؤثر فيه انشقاق الحسن عليه ، وأنه من المستحيل أن يحقق لها الحسن شيئا مما كانت تعلقه على مناوأته للسيد عمر اعتزمت القبض عليه وعلى من معه فدهمتهم بجيشها يوم ٩ شعبان سنة ١٣٤٨ كما ذكرنا آنفا ، وشتت الله شمل (جيش الدقيق[1]) وصاروا الى مايصير اليه غير المخلصين

أما الحسن فقد ذهب به الى بنغازى حافى الرجل محاطا بالجنود ثم نفى الى روما ودفع الله شره عن السيد عمر بعد أن كاد يستفحل

وان الانسان ليدهش حينما ينظر الى وقوف السيد عمر المختار مكتوف الأيدى أمام هذا الانسان الذى يهدم بمعوله فى صفوف المسلمين ، ويدعو الى الطليان جهارا ، الى هذا الحد تصل مهابة السنوسيين من نفس السيد عمر ثم يرمون بأنفسهم فى أحضان الطليان متتابعين بلا مبرر ، هذا مما لا يؤيد أن السنوسيين عجزوا عن الاحتفاظ بمركزهم ،

---

(١) هذه التسمية أطلقها المجاهدون على الحسن ومن انضم اليه حين التجائهم الى الطليان طمعا فيما عندهم من الدقيق والنقود

.وعن السير فى ذلك الطريق الذى تركه لهم آباؤهم معبدا . و يعلم الله ان حديثهم الحسن ، وصيتهم الذائع فى أقطار الارض ، ومهابتهم المخيمة على النفوس لو تركت لغيرهم من أجدادكأجدادهم لما رأوا أرخص من نفوسهم فى المحافظة عليها ، ولما وجدوا أحلى من الموت فى الدفاع عنها

نداء السيد عمر

ولما لم يف الطليان بوعودهم وذهبت كل مجهودات السيد عمر لاستتباب السلم فى البلاد صرخة فى واد وجه هذا النداء الى أبناء وطنه سكان برقة وطرابلس يفسر فيه حقيقة تلك الأخبار المشوهة التى أذاعها بعض الصحف عن توقيف القتال بين المجاهدين فى سبيل الله والمجاهدين فى سبيل التسلط والاستعمار

وقد نشر هذا النداء فى جريدة الاخبار بتاريخ أول شعبان سنة ١٣٤٨ وهذا نصه :

أبناء وطنى سكان برقة وطرابلس

فى ابتداء سنة ١٣٤٨ وأواسط سنة ١٩٢٩ خاطبتنى الحكومة الايطالية على لسان ممثلها سعادة الوالى المرشال بادوليو بتوقيف رحى الحرب، وتقديم مطالبنا وتعيين محل لمقابلة دولته ، بحصل ذلك وتقابلنا بسيدى رحومة[1]، واتفقنا على عمل هدنة مدتها شهران ليخابر كل منا مرجعه ، وفى أثناء المقابلة طلب منى تقديم مطالبنا ، وقال لى انه مستعد لارجاع أميرنا السيد محمد ادريس السنوسى الى برقة اذا كنا نرغب ذلك

ومن جملة شروط الهدنة التى قدمناها مايأتى :

(١) كان هذا الاجتماع يوم الخميس ٥ المحرم سنة ١٣٤٨ الطرصورته فى (ص٧٩)

« أولا ـ العفو العام عن كل المجرمين السياسيين سواء كانوا داخل القطر أو خارجه . واطلاق سراح المسجونين

ثانيا ـ سحب كل النقط المستجدة أثناء حرب سنة ١٣٤١ بما فى ذلك نقطتا الجغبوب وجالو

ثالثا ـ لى الحق فى أخذ الزكاة الشرعية من العربان القاطنين حول النقط الايطالية بالسواحل

رابعا ـ مدة الهدنة شهران وقابلة للتجديد »

فقبل سعادة المرشال هذه المطالب و وعد بتنفيذها

وقبل انتهاء مدة الشهرين أخبرت سعادة الوالى بواسطة وكيله الكولونيل سيشلياني أن كل الزعماء الوطنيين اتفقوا على انتخاب الأمير السيد محمد ادريس السنوسى . وهو ينتخب معه الرجال الأكفاء من أبناء برقة وطرابلس لتولى المفاوضة مع الحكومة الايطالية على مطالب برقة وطرابلس . وطلبت من الحكومة أن تخابر سيادة الأمير السيد محمد ادريس السنوسى حالا لاتخاذ الطرق المؤدية لانهاء الحالة الحاضرة بأحسن منها . فوعدنى سعادته خيرا .

وقبل انتهاء مدة الشهرين طلبوا تجديد الهدنة بدعوى أن الوالى سافر لروما لعرض الأمر على الحكومة والى الآن لم يحضر

وهكذا امتدت الهدنة بالعشرة الأيام و بالعشرين حتى ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ فعرفت أن غرض الحكومة هو كسب الوقت فقط . لذلك

، بلغت الحكومة بواسطة وكيل الوالى أن الهدنة آخرها يوم ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ وأنها غير قابلة للتجديد

والآن والهدنة على وشك الانتهاء ولم أتلق ردا من الحكومة الايطالية عن عزمها بمخابرة أميرنا السيد محمد ادريس السنوسى رأيت أن أخوض غمار الحرب ، وأن لا أركن الى أى محادثة أو واسطة ولو من العائلة السنوسية الا من اتفقت عليه الأمة وأودعته ثقتها

ولكن لا أدرى لماذا تتجنب الحكومة الايطالية مخابرة الزعيم المذكور مع علمها تماما بأن الحل والعقد بيده . فلو كانت حقيقة تركن الى الصلح لما ترددت لحظة واحدة فى مخابرته

فليعلم اذا كل مجاهد ان غرض الحكومة الايطالية انما بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا ، وتفكيك أواصر اتحادنا لتتم لها الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة، ولكن بحمد الله لم توفق الى شىء من ذلك

وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الايطالية شريفة . وما مقاصدنا الا المطالبة بالحرية ، وأن مقاصد ايطاليا وأغراضها ترمى الى القضاء على كل حركة قومية تدعو الى نهوض الشعب الطرابلسى وتقدمه، ومع ذلك لا يمكننا أن نقول ان جميع الشعب الايطالى يحبذ فكرة الحرب ، وخصوصا فى الوقت الذى تتساهل فيه الأمم الأخرى مع الشعوب الشرقية ، بل فيه رجال سياسيون ميالون الى السلم يقدرون مصلحة بلادهم ويعرفون

ماتجره الحرب من ويلات ودمار . كما ان فيه أفرادا يريدون القضاء على الشعب الطرابلسى بأى وجه كان

وهيهات أن يصل الاخيرون الى غرضهم هذا مادامت لنا قلوب تعرف ان فى سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال . وهانحن الآن ندافع عن كياننا ونبذل دماءنا الزكية فداء للوطن وفى سبيل الوصول الى غايتنا المنشودة

لهذا نحن غير مسئولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ماهى عليه حتى يثوب أولئك الأفراد النزاعون الى القضاء علينا الى رشدهم ، ويسلكوا السبيل القويم ، ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة والخداع

عمر المختار

قائد القوات الوطنية

* * *

هذا هو منشور السيد عمر . وهذا ماأملته تلك النفس الطاهرة ، وفاض به ذلك الشعور الحى من الصراحة فى القول والملاينة الى حد لم يبق معه شك فى أن المسئول عن تلك الدماء المهراقة فى طرابلس انما هم الايطاليون

وقد قال السيد عمر للطليان بمناسبة الهدنة : (اسحبوا الجند ، وهدموا المخافر ، والغوا الحرس ، فمن اليوم وصاعدا يمكن التجول فى برقة

بأمان وحرية (١))

ونحن لا نشك فى أن السيد عمر معتزم تنفيذ ما اتفقوا عليه من شروط،أما من جهة الطليان فقد اتضح من سيرالمفاوضات انهم لايقصدون من طلب الهدنة الا كسب الوقت والتحايل للوصول الى تشتيت شمل المجاهدين

ولا يعوزنا الدليل على هذا،فان هذا المنشور يدل فى صراحة على أن السيد عمر المختار بذل من ناحيته فى سبيل الوصول الى التفاهم كل مايمكن بذله : فلبى الدعوة بمجرد وصولها اليه ، وشرط تلك الشروط الأولية التى لايمكن لايطاليا أن تقيم الدليل على انها تريد السلم بدونها ، وقبل مد أجل الهدنة الذى ما كانت تقصد من ورائه ايطاليا الا اكتساب الوقت كما ذكره فى منشوره ، وانتظر رد جواب الايطاليين الى آخر لحظة . ولكن الطليان أبوا أن يردوا عليه ، مع انهم هم الذين طلبوا الهدنة ، وهم الذين عينوا مكان الاجتماع ، وحضره بادوليو والى طرابلس و برقة ، وتسلم شروط السيد عمر و وعده بالرد عليها

والحقيقة أن الطليان لايطلبون الهدنة ليستعملوها فى معناها الموضوع بازاء لفظها وهى وضع السلاح بين الطرفين المتحاربين لتبادل الآراء فيما يوصل الى حل المشكلة القائمة بينهما حلا نهائيا، ولكنهم يستعملونها طريقا من طرق الخداع الحربية للتوصل الى التغلب على عدوهم . وقد استعمل

(١) هذه الجملة التى بين دائرتين منقولة عن خطبة غراسيانى التى القاها فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣٠ عن الحالة فى برقة وقد عزاها الى السيد عمر

السيد عمر حقه فى جباية الزكاة من العرب القاطنين بالسواحل وما جاورها، وهذا الحق اكتسبه بمقتضى شروط الهدنة ، ولما لم يوقع الطليان شروط الهدنة كما وعدوا ، ورجعت الحرب الى ما كانت عليه بين الطرفين امتدت أيديهم الى كل من أعطى زكاة أمواله للسيد عمر، وحكم على بعضهم بالاعدام بحجة أن لهم صلة بالسيد عمر

الرضا يخذل المسلمين

وبعد ان نفي الرضا الى ايطاليا نحو الستين جيء به الى بنغازي للتأثير به على السيد عمر ، فصار يكتب اليه في شأن التسليم للطليان، ويبعث اليه الوفود لهذا الغرض. وقد كتب منشورا ألقته الطائرات الايطالية على المجاهدين بالجبل الأخضر في يونيو سنة ١٩٣٠ تبرأ فيه من المجاهدين ومن السيد عمر اذا لم يسلموا للطليان . ولما انشق ابنه الحسن على السيد عمر وانضم اليه بعض الأوباش والمرتزقة خرج اليهم الرضا وخطب فيهم حاضا على الانضمام الى الطليان والانفضاض من حول السيد عمر ، وكان يخرج الى البادية الخاضعة للطليان ويخطب بهذا المعنى ، ويصف السيد عمر ومن معه بالعصاة الخارجين ويحرض الناس عليهم . ورغم العذاب الذي لاقاه فقد ملأ منشوره بذكر الراحة والهناءة التي هو فيها .

منشور الرضا

وهذا نص منشور الرضا الذي ألقته الطائرات على المجاهدين في يونيو

سنة ١٩٣٠، وقد نشرته جريدة بريد برقة [١] يوم الاربعاء ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٥٠ قال الرضا :

« الى العرب المخالفين لنا وللدولة هداهم الله

قال الله تعالى : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » وقال عليه الصلاة والسلام « لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » وقال عليه الصلاة والسلام : « الدين النصيحة »

فعملا بهذه الأوامر الشريفة لاأضن عليكم بنصحى لكى أتخلص من المسئولية الدنيوية والأخروية . ويسوءنى والله أن أرى هذه الحالة وما ستؤول اليه من العاقبة الوخيمة

أنا سنوسى لاأنكر صفتى هذه ، ولا أستنكر ماأسسه أوائلى ، وما يرمى اليه تأسيسهم من الغايات الشريفة ألا وهى تعليم أولاد المسلمين القرآن الكريم ، وأحكام الدين الحنيف ، واطعام الفقير وابن السبيل ورد المنهوبات ، والصلح بين المتنازعين ، ومنع الشقاق . وليس مثل سلوك الأخوة ابن العم السيد أحمد الشريف ، والأخ السيد ادريس الذين قصدوا السلطة الزمنية واقامة الحرب والغزو

فهذه الخطة ناشئة عن مقصدهم الذاتى لاعلاقة لها بالطريقة السنوسية

(١) قالت بريد برقة : لما أمرت الحكومة باقفال الزوايا السنوسية فى قطر برقة وجه حضرة السيد محمد الرضا بن السيد المهدى السنوسى نداء الى الاهالى لم تسمح الظروف بنشره وقتئذ

ولا ترضى الاب ولا الجـد ، بل كل منهم برىء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب

وأنا أيضا أتبرؤ منهم فى ذلك وليس لى بهم علاقة . أشهد الله وعباده على هذا .

وانى أحمد الله الذى هدانى الى الرجوع الى الحق والتخلى عن الخطط المبتدعة الضارة للبلاد والعباد

الرجوع الى الحق خير من التمادى على الباطل ، نسأل الله الهـداية والتوفيق

فان كنتم منتسبين للسنوسـية فاتبعوا نصيحتى ، وفكـروا جيدا تجدونى لـكم حقا من الناصحين

أما السنوسيون الآخرون فـلو كانوا يريدون لـكم الخير لحضروا لصالحـكم واتصلوا بالحـكومة ليتم كل خير . وحيث التجأوا لدولة أخرى فأين دليل شفقتهم عليكم . ولا معنى لاصغائـكم لأقوالهم بعد أن تركوكم نهائيا ، كفاكم من هذا التهور

أما أنا هنا فى كنف الحـكومة الجليلة فأود لـكم الخير واتباع الطريق المستقيم، أنا الذى مع الحـكومة أعرف مقدار رحمتها لمن يطيع ويخلص، فمتى سلمتم تجدوا الرحمة والشفقة ، وأنا أضمن لـكم ذلك

ان خضوعى لدولة ايطاليـا الفخيمة قد كان منى عن طيبة خاطر ولم أكن مكرها عليه ، كما أنى لست مكرها اليوم على نصحكم هذا ، بل هو

صادر عن ضميرى ونتيجة التجربة الصحيحة والتفكير فى الصالح العام، لذلك نبذت كل شئ باطل و رجعت الى الدولة . فتأكدوا اننى بالقلب والذات مع هذه الحكومة أعادى من يعاديها وأصادق من يصادقها . أشهد على ذلك الله وعباده

لقد بذلت جهدى ونصحتكم فى شحات ، وفى الدور ، وما كنت أظنكم تتركون نصحى وتتبعون من يدلكم على العصيان الذى هو سبب كل ماحل بكم وجربتموه من الهلاك والضرر . أما كفاكم حتى أضعتم الفرصة التى كان يمكنكم الحصول فيها على خيركم و راحتكم ، ولكن لايزال الأمر مستدركا فالحكومة رحيمة

ان دولة الجنرال رودلف غراسيانى العزيز رحيم عادل ، اذا سلمتم تجدوه أبا شفوقا فاتبعوا نصحى وارجعوا الى الخير ، فان أبيتم فستندمون أشد الندم ، وأنا برئ منكم ، وان لم تتبعونى تلحقكم دعوة الشر

الحكومة الجليلة متصفة بكل فضيلة ، وستجدون لديها الخير والرحمة ان شاء الله ان أخلصتم وسلمتم

ان عملكم الآن أضر باخوتكم المسلمين الطائعين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « من آذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل »

يقولون نحارب عن ديننا و وطننا : فدينكم لم يتعد عليه أحد . هاهى الجوامع عامرة والعوائد محترمة . وأما وطنكم فقد خربتموه

بأيديكم .هل الدين ينص على نهب اخوانكم المسلمين ؟ انتصحوا وارجعوا الى الحق والى الحكومة الشفوقة

ان هذه الدولة الجليلة سخرها الله عز وجل لاحياء البلاد واسعادها وأبنائها، فأنتم بعنادكم هذا خالفتم أمر الله فتخشون سوء العاقبة، اذ كيف لا نرضى بأمر الله وقضائه ؟ نعوذ بالله من غضب الله . لايجرى شيء الا بارادة الله ، يجب الاعتقاد بهذا على كل مسلم

أدعوكم للرضى والتسليم لأمر الله وللدولة الفخمة أيدها الله

انى أنا سنوسى محض ، ولكنني أبرأ الى الله أمام الدولة من أعمال الاحوة ولست معهم ولا منهم

ان مشايخ الطريقة الذين هم السيد محمد بن على السنوسى الجد ، و والدى السيد محمد المهدى الذين أخذتم عنهم الطريقة لايرضون بهذا السلوك المغاير ، وهاأنا أستدل لكم بما كان منهم سابقا :

عند ما احتل الانجليز مصر دعا عرابى باشا والدى للاشتراك معه فى الحرب، وكان والدى اذ ذاك مقيما بالجغبوب فرفض بتاتا ، ولو كان يريد لفعل . وحيث ان الأوائل مقصدهم العبادة المنزهة عن كل غرض دنيوى وقد أتموا هذا المقصد الشريف على مايرام فيجب علينا وكل من يتبعنا نبذ ماحدث جديدا من الاخوة المذكورين

ولو كان الوالد حاضرا لما حصل هذا الحال الضار . لهذا أدعوكم الى ترك العصيان ، فهذا الذى يخلصكم مع الأستاذ رضى الله عنه الذى يجب أن

نقتدى بأعماله ، ونحيد عن الخطط المبتدعة بعده

وأنا أدعوكم الى التسليم والا فلستم منا ولا نحن منكم ، و بعد هذا لاأكون مسئولا عند الله ولا عند الحكومة عما يلحق بكم من الضرر حيث بذلت لكم نصحى بالصراحة التامة التى لاأحب سواها ، قال عليه الصلاة والسلام . « لاخير فى قوم لايتناصحون.ولا خير فى قوم لايقبلون النصيحة »

اما حجز أملاك السنوسية ومصادرتها فهو حكم عادل ، وقد سببه الاخوة فهم المسئولون أمام الجد عما أجروه لافساد ماأسسه لهم ، وهم بعملهم هذا أحرجوا مركز السنوسية وشوهوا سمعتها

هذه نصيحتى لكم (والنصح أغلى مايباع ويوهب) لاأبتغى بها الا الأجر من الله والمثوبة ، فاتبعونى وأنقذوا رقابكم من الموت لأجل أغراض شخصية للغير لاتجنون أنتم منها الا الفناء »

محمد رضا السنوسى

هذا منشور الرضا ، وهذا مايدعو اليه من الانشقاق والتخلى عن السيد عمر . وهو يصرح فى هذا المنشور بملء شدقيه انه برىء مما قام به السيد أحمد السنوسى من الجهاد فى سبيل الله ، ويبرأ الى الله أمام دولة ايطاليا مما عمله السيد أحمد ويشهد الله وعباده على ذلك

وقد شهدنا على هذه البراءة ، كما نشهد نحن الله ونشهده هو وعموم

المسلمين أننا براء مما أتاه من الأعمال الشاذة التى تزرى بالمسلمين عموما والسنوسيين خصوصا

حشر العرب فى العقيلة

لما لم ينجح الحسن ابن الرضا فى عمله فكر الطليان فى نقل العرب من حوالى الجبل الأخضر وفصلهم عن المجاهدين حتى يبقى المجاهدون فى عزلة ، فتم نقلهم فى شهر سبتمتر سنة ١٩٣٠ فنقلوهم أولا الى عين الغزالة حيث بقوا هناك نحو أربعة أشهر ومنها ذهب بهم الى العقيلة وهى على حدود برقة الغربية (انظر ص ٥٧) ويبلغ عددهم ٨٠ الفا ، ومعهم من الابل والغنم مايزيد على ستمائة الف. وقد عينوا لهم منطقة لايتجاوزونها ، وهذه المنطقة لاتكفى لسكنى عشرهم فضلا عن سكناهم جميعا

وقد فتكت بهم الأمراض والجوع فتكا ذريعا ، وامتدت يد السياسة الى أعيانهم وذوى الوجاهة فيهم . وكان حصر عرب الجبل الأخضر فى العقيلة صورة مصغرة من يوم المحشر الذى يجمع الله فيه الأولين والآخرين . وقد بقى العرب فى محشرهم هذا من سبتمبر سنة ١٩٣٤ حتى أواخر سنة ١٩٣٤ حيث أذن لمن بقى منهم بالرجوع الى جهة الجبل الأخضر وهم لايتجاوزون الخمسة عشر الفا

وكان فصل العرب عن المجاهدين آمضى سلاح استعملته ايطاليا للقضاء على الثورة فى برقة ، وكان من أفظع ماتبيحه الحروب للقضاء على أحد المتحاربين

وهذا العمل الخطير الذى أتته ايطاليا أحس بخطره السيد عمر ، وعلم ان عاقبته سوف لاتحمد اذا لم يتــدارك الله هؤلاء المجاهــدين بلطفه ، ولــكنه صمد له صموده لــكل الحوادث التى مرت به ، وواجــه عدوه بقلب ملؤه اليقــين بأنه على حق فيما يقوم به من الدفاع عن الوطن والله يؤتى نصره من يشاء

و بعد انتهاء نقل البادية الى العقيلة اتجهت نيــة الطليان الى احتلال الــكفرة فأخذوا فى الاستعداد لذلك

الكفرة

هى مجموع واحات فى صحراء ليبيا تقع فى جنوبى بنغازى على مسافة نحو الف كيلو متر وهى عشر واحات ، وترتيبها من الشمال الى الجنوب : تازربو . الزيغن (غير مأهولة) بوزيمة . ربيانة . الهواري . الهويويرى . الجوف . البومة . البويمة . الطلاب . وفى الكفرة التاج وهى القرية التى أنشأها السادة السنوسية بها مساكنهم الخاصة ، وفيها زاويتهم المشهورة بزاوية التاج . وقد زارها طاهر باشا مندوب السلطان عبد الحميد فى حياة السيد المهدى سنة ١٣١٤

والكفرة أكبر معقل للسادة السنوسية ، وفيها كل مايثقل حمله أو يعز وجوده . وبها خزانة كتب للسادة السنوسية يوجد فيها من نفائس الكتب مالا يوجد فى غيرها . وبها آبار وعيون جارية . وفيها مزارع كثيرة . وسكانها قبيلة زوية وهى قبيلة عربية . وفيها قليل من « التبو » وهم سكانها الأصليون من السودان أجلاهم عنها العرب . وأول من افتتح الكفرة من العرب الجوازى ، ثم الجهمة ، فى ازمان مجهولة لنا . والطلاب والزرق قريتان من قرى الكفرة ، وهما اسمان لبعض الأسر من قبيلة الجهمة التى كانت فتحتها أطلقا على هاتين القريتين . ويبلغ ارتفاع التاج على سطح البحر ٤٧٥ مترا .

الاستعداد لاحتلال الكفرة

وكانت القوات الايطالية قامت بعدة استكشافات لاختبار طريق الكفرة ، ففى ٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٩ قامت الطائرات من جالو فى الساعة الرابعة والنصف ووصلت الى تازربو فى الساعة السابعة ، وبقيت ترمى القنابر نحو عشرين دقيقة ثم عادت الى جالو فى الساعة العاشرة

وفى ٢٧ منه قامت اثنتان وثلاثون سيارة مصفحة من جالو تحمل مائة وعشرين شخصا برياسة لوريتزينى قائد فرقة السيارات المصفحة الى بئر الزيغن . وفى اليوم الرابع لخروجها من جالو وصلت الى الزيغن . وبعد أن تجول لوريتزينى فى وادى الزيغن وتحقق وجود الماء الكافى فيما اذا أريد أن يجعل الزيغن نقطة متوسطة للمؤن والذخيرة رجع الى جالو يوم ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ وكانت المسافة بين جالو والزيغن ٤٠٠ كيلو متر . وكل هذه الحركة لاختبار الطريق ولاستكشاف ماعساه أن يعترض الحملة فى طريقها الى الكفرة

أكبر حملة فى برقة

وكانت هذه الحملة من أكبر الحملات التى عرفت فى تاريخ الاحتلال الايطالى فى برقة. فقد استخدم فيها من الابل خمسة آلاف جمل لنقل المؤن والذخيرة ، وثلاثة آلاف جمل أخرى لنقل الجنود . واشتركت فى هذه

الحملة عشرون طائرة كانت مجهزة بألفى قنبرة زنة الواحدة كيلوغرامان ، وبأربعمائة قنبرة [1] أخرى زنة الواحدة منها اثنا عشر كيلو غراما

وكانت هـذه الحملة مقسمة الى قسمين : قسم ابتدأ حركته من واو الكبير [2]، بقيادة الماجور كلمينى ، وقسم ابتدأ حركته من جالو بقيادة الكولونيل ماليتى

وابتـدأ الفريقان حركتهما فى ٦ شـعبان سـنة ١٣٤٩ واجتمعا فى بئر الزيغن يوم ١٩ منه ، وقد جعل الطليان بئر الزيغن مركزا متوسطا لاجتماع الجيشين فيه ومنه توجه الجميع الى الكفرة

احتلال الكفرة

وفى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٤٩ وصلت هذه القوة الكبيرة الى الكفرة واشتبكت مع الأهالى فى معركة ابتدأت من الساعـة العاشرة وانتهت فى الساعة الواحدة بعد ظهر هذا اليوم. وكان الغرض من هذه المعركة ايقاف الجيش الايطالى قليلا من الزمن ليتمكن من يريد الهجرة من الفرار .

---

(١) قنبرة بالراء انظر (صفحة ٨)

(٢) واسمه أيضا واو الشعوف وهو الى الجنوب الشرقى من زويلة على مسافة ثلاث مراحل ، وبه زاوية للسادة السنوسية . وفى اثناء هجوم الطليان على فزان نقل اليه عبدالجليل بن سيف النصر مايهمه نقله وترك هناك والدته وابن عمه السنوسى . ولكن الجيش الايطالى تقدم الى واو فاحتله يوم ١٣ يناير سنة ١٩٣٠ واخذ كل ما تركه عبد الجليل هناك، وقد ذكر البلاغ الايطالى اذا ذاك ان الطليان اخذوا مائة قطعة كلها ملأى بالنقود ، وقتل السنوسى بن غيث بن سيف النصر واسرت والدة عبد الجليل

وتم احتلال الـكفرة في أول يوم من رمضان سنة ١٣٤٩ ورفعت الراية الايطالية على زاوية التاج في الساعة الثالثة بعد ظهر هذا اليوم

وقد فر أهل الـكفرة زرافات ووحدانا على غير هدى لايلوون على شيء . وقد ذكر البلاغ الرسمي الايطالي (أن الجنود والطائرات تعقبت الفارين وطاردتهم على مسافة مائتي كيلو متر وقد تركوا في الطريق نساء وأطفالا)

ونحن نذكر هنا ماذكرته الاهرام في عددها الصادر يوم الثلاثاء ٢٧ شوال سنة ١٣٤٩ من الأعمال الانسانية التي قام بها صاحب الهمة العالية عبد الرحمن افندي زهير مأمور الواحات الداخلة ورفقاؤه لانقاذ أهل الـكفرة الفارين من مخالب الموت ليعلم مقدار ماألجأ أهل الـكفرة الى اقتحام هذا الموت الأحمر

ما كتبته الاهرام :

(في يوم الثلاثاء ٢٤ فبراير سنة ١٩٣١ قدم أحد عرب الـكفرة الى ناحية بلاط بالواحات الداخلة ، وأبلغ أن دولة الطليان أرسلت جيشا لاحتلال بلادهم على غرة منهم في أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٩ بدون استعداد منهم . وحدثت مقاومة بين الفريقين الى أن نفدت ذخيرة العرب ، وعلى ذلك أخذوا يهاجرون من البلاد الى نواح شتى ، فبعضهم قصد بلاد السودان، و بعضهم قصد الى واحة سيوة ، وآخرون الى الفرافرة

والواحات الداخلة ، ومع كل فريق من المهاجرين الذرارى والأطفال والنساء مشاة وركبانا . وقد تبعتهم الطائرات الايطالية على بعد ثلاثة أيام من الكفرة فقتلت معظم الجمال التى كانت معهم . وكان أول من أبلغ الخبر ذلك العربى الذى طوحت به المقادير الى بلدة بلاط التقدم ذكرها على غير هداية ، فأحضره عمدة البلدة المذكورة الى مركز الواحات الداخلة فأبلغ الخبر لحضرة المأمور عبد الرحمن افندى زهير وأعلمه أنه ترك فى أثناء الطريق عددا كبيرا من النساء والرجال والأطفال على حالة خطرة ، فقام حضرة المأمور وحضرة طبيب المركز يتموا افندى قولته على سيارات الحكومة بقصد انقاذ من تركهم هذا العربى ، فأحضروا احدى عشرة نفسا بعد الاسعافات اللازمة ، وقد حضر بعض منهم الى موط بلدة المركز وقالوا انهم تركوا وراءهم عددا كبيرا من الرجال والنساء والأطفال الذين لايستطيعون مواصلة السير ، وانهم أشرفوا على الهلاك و بعضهم مات بالفعل ، فأثر ذلك فى حضرة المأمور وأخذته الغيرة الانسانية فهب لانقاذ هؤلاء البائسين ، وتطوع معه حضرة المفضال الشيخ أبو بكر خليل عبد الحافظ عضو مجلس النواب السابق بسيارته الخصوصية ، بعد أن أخذ كل منهما مايمكن حمله من الماء والبرتقال لاسعاف هؤلاء المنكوبين . وكان بصحبتهما أيضا فى سيارة الصحة ابراهيم افندى السعدانى باشتمرجى مستشفى الداخلة ومعه الاسعافات الأولية

وكان قيامهم من مركز الداخلة الساعة ٣ من مساء يوم الاربعاء ٢٥

فبراير وساروا فى أثر من حضروا لمركز الداخلة ، و بعد مضى ثلاث ساعات من السير الجد وجدوا بعضا من القوم فى النزع الأخير، فأسعفوهم الاسعاف اللازم وتركوا لهم مايلزم من الماء وأمروهم بالسير فى أثر السيارات ومن لم يستطع السير يبقى بمكانه حتى تعود السيارات لأخذه ثم ساروا ينهبون الارض حتى الساعة التاسعة والنصف مساء فوجدوا فريقا آخر حالتهم أدهى مما سبق . فأعطوهم من الشراب مارد حياتهم . وفى هذا الوقت خافوا أن يضلوا الطريق أو يتركوا أحدا لم يشعروا به من سرعة سير السيارات وشدة الظلام ، فباتوا فى الجبل

ولما أصبح الصباح واصلوا السير فى الأثر فوجدوا أناسا متفرقين فى أماكن مختلفة ومعظمهم نساء وأطفال، فخففوا آلامهم وعملوا معهم كسابقهم. وفى أثناء سيرهم وجدوا بعضا منهم أشرف على الهلاك ، وكانوا يجدون الرجل وحده والمرأة كذلك لانهم فقدوا الماء منذ اثنى عشر يوما ، وكانوا فى أثناء تلك المدة يشربون دم الابل وعصير الفرث . وما زالوا يجدون فى السير حتى الساعة الثالثة من مساء الخميس فوجدوا أن البنزين الذى كان معهم أشرف على الانتهاء لانهم قطعوا فى هذه الرحلة مايقرب من أربعمائة كيلومتر، فعادوا وكانوا يحملون معهم فى السيارات من خانته قواه ولم يستطع السير ، و يعطون الماء الكافى لمن وجدوا فيه قوة على المشى . ثم باتوا بالجبل حيث كانت الساعة الثانية بعد نصف الليل

وفى صباح الجمعة واصلوا السير حتى وصلوا مركز الداخلة الساعة العاشرة

صباحا . وقد أنقذوا فى هذه الرحلة نحو المائة والخمسين نفسا معظمهم نساء وأطفال

وكانوا يجدون أطفالا فى داخل أخراج على ظهور الابل . ولقد كانت المرأة تنسى أولادها من شدة العطش ، وما كانوا يشعرون بهم الا من صياحهم على ظهور الابل يتبعهم خمسون نسمة منهم أربعة عشر رجلا والباقى نساء وأولاد . و وجدوا كثيرا قد مات فدفنوه

ولما أسعف بعضهم وعادت له قواه أخبر بأنه ترك نحو خمسين نفسا فى طريق أخرى فاكترى سيارات الشركة وتوجه يوم السبت للبحث عنهم

***

وقد أثنت الاهرام على عبد الرحمن افندى زهير و رفقائه ثناء مستطابا على ماقاموا به من عملية الانقاذ لهؤلاء المنكوبين

والطرابلسيون جميعا تقصر يدهم عن مكافأة عبدالرحمن افندى زهير مأمور الواحات الداخلة ، والشيخ ابى بكر خليل عبد الحافظ و رفقائهما على هذا العمل الجليل الذى يرونه منة فى أعناقهم يجب أن يحفظوها لهم فى قرارة نفوسهم ، و يعلموها أبناءهم لينشأوا على حب هؤلاء السادة الذين أنقذوا اخوانهم مهاجرى الكفرة ابتغاء مرضاة الله وحبا فى الخير

فالى الله نرفع أكف الضراعة راجين أن يفيض عليهم من بره واحسانه أضعاف ما أهدوه الينا من بر واحسان ، وأن يدفع عنهم ما يكرهون فى هذه الحياة كما دفعوا عن اخواننا مرارة الموت فى تلك الصحراء المحرقة

تأثير احتلال الكفرة

وكان احتلال الكفرة كالصاعقة انقضت على الرءوس وأحس بخطرها كل من يهمه امر طرابلس وأمر السيد عمر المختار ومن معه من المجاهدين فى الجبل الاخضر . وصارت النفوس توجس خوفا على مصير تلك الحركة التى ماتزال شجى فى حلق الاستعمار الايطالى . وزاد تساؤل المسلمين عن مصير السيد عمر ذلك الرجل العصامى الذى طبق ذكره الآفاق ، وملأ حبه قلوب الناس، وأعجب بشجاعته كل الذين يشتغلون بالسياسة الشرقية ، والذين يتتبعون حركات الاستعمار فى البلاد الاسلامية

التضييق على السيد عمر

ولم يبق منفذ للسيد عمر يتصل منه بالعالم بعد احتلال الكفرة الا الحدود المصرية المخفورة بجيوش ايطاليا وطائراتها ، ولكن هذه الجيوش وتلك الطائرات ما كانت تمنع السيد عمر من الاتصال بالأسواق المصرية ليجلب اليها مايغنمه المجاهدون من الطليان من حيوانات ومتاع، و يمتار منها لجيشه مايلزمه من النفقات . فانهم كانوا يجتازون الحدود المصرية بقوة السلاح وعلى مرأى من تلك الجنود الايطالية

و بعد أن رجع غراسيانى من الكفرة فكر فى حصر المجاهدين من ناحية الحدود المصرية فرأى أن مسألة الجنود والطائرات غير كافية لمنع اتصال المجاهدين بالأسواق المصرية ، وأخيرا رأى أن يضيف الى قوة

الطائرات والجنود قوة ثالثة وهى الأسلاك الشائكة، فشرع فى مدها من بردى سليمان وانتهى بها الى ما بعد الجغبوب . وهذه المسافة لاتقل عن ثلاثمائة كيلومتر . وكان الابتداء فى مد هذه الأسلاك فى شوال سنة ١٣٤٩ وانتهى فى ربيع الأول سنة ١٤٥٠

و بعد مد الأسلاك الشائكة أصبح المجاهدون منقطعين عن جميع البشر من جميع الجهات ، وقد حاولوا عدة مرات اختراق هذه الأسلاك فكانوا يلاقون أشد العنت فى اختراقها

ثبات السيد عمر

وقد استمر السيد عمر بعد مد الأسلاك الشائكة فى جهاده، ثابتا فى موقفه أمام العدو، مؤملا من اخوانه المسلمين أن يسعوا فى تفريج هذه الضائقة التى حلت بهم الى أن وقع اسيرا فى ميدان القتال عليه رحمة الله

***

مقدرة السيد عمر

وقد كان السيد عمر فى حروبه ببرقة رحب الذراع ، مضطلعا بأمر الحرب ، لامترفا ان ساعده رخاء العيش ، ولا يخشع للمكروه اذا غضه ، ولا يطعم النوم الا ريثما تبعثه هموم تكاد تتحطم لها أضلاعه ، يقظا لما يدبره الأعداء ، كأنما يوحى اليه بما يبيتونه فى خفائهم . عركته الأيام بما

زاده خبرة بما تلده من الأحداث جليلة كانت أو حقيرة، لم يشغله مال ولا بنون عن الاشراف على جزئيات هذا الأمر الذى ظل يحنو عليه حنو الاب الشفوق على أنجب أولاده حتى لفظ فى سبيله آخر أنفاسه عليه رحمة الله .
فهو كما قال لقيط :

لامترفا ان رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به خشعا
لايطعم النوم الا ريث يبعثه هم تكاد حشاه تحطم الضلعا

آمال السيد عمر

وكانت نفس السيد عمر مملوءة أملا بنجاح ماهو بصدده على رغم مااتخذه أعداؤه من وسائل التضييق عليه ، وعلى رغم ما كان يبدو له من شبح الخطر الذى كان يتهدد حركته مابين حين وآخر

ومنشأ هذا الأمل ما كان يلاقيه من النصر على أعدائه ، وما كان يشاهده على رفقائه من النشاط والمران على أساليب الحرب ، والصمود لها والثبات أمام أعدائهم الكثيرين

وقد كانت قوة ايمانه ، وعزمه على الاستماتة فى الدفاع ــ طال الزمن أو قصر ــ يوجدان فى نفسه أملا آخر وهو أن المسلمين ستثور فى نفوسهم حمية الاسلام فيمدون اخوانهم بما يدفع عنهم خطر الجوع الذى لا يخشون غيره

انشاء دعاية فى مصر

ومن أجل هـذا الأمل فكر فى انشاء دعاية فى مصر للفت نظر المسلمين الى هـذه الحفنة من اخوانهم بالجبل الأخضر. وكان يؤمل أن يكون السيد ادريس العامل القوى فى هـذه الدعاية، ولكن السيد ادريس ـ لأسباب هو أدرى بها ـ ما كان يتظاهر بشىء يفهم منه أن له صلة بالسيد عمر، وما كان يصعب عليه ـ وهو على ما هو عليه من جاه وثروة ـ أن يخدم طرابلس بمثل ما خدم به مصر مصطفى كامل، أو محمد فريد، أو سعد زغلول، أو غيرهم من زعماء الشرق الذين يجدون فى خدمة وطنهم لذة دونها لذات الحياة كلها

ومن الأسباب التى دعت الى تغلب الطليان على الثورة الطرابلسية تخاذل المسلمين، وقعودهم عن القيام بالواجب، وانصراف كل منهم الى شأن لا يتصل بمصلحة غيره قط، وتغافلهم عما يدسه لهم الفرنجة من أسباب الشقاق والتنابذ، وترك الزعماء منهم قيادة الأمة الى ما يحفظ عليها كرامتها ومجدها، وانشغالهم عن النظر فى شئونها بمسائل الحزبية التى أذهبت عن هذه الأمة خير ما ورثته من عزة ومجد. وأتت على أساس ما شيده لها نبيها ﷺ وصحابته من قواعده. كل هـذا وأكثر منه فت فى عضد الحركة الطرابلسية وقتلها قتلا رغم المثابرة عليها اثنتين وعشرين سنة كاملة، ورغم فناء الأمة فى المحافظة عليها بالقتل والتشريد

ويوم أن كان للرابطة الاسلامية اعتبار بين المسلمين كان الطرابلسيون

لايأبهون بجيوش الطليان وأساطيلهم ، وكان روح حركتهم محميا بأموال اخوانهم المسلمين وأقلام كتابهم ، وهذه المعونة وان لم تدم أكثر من خمس سنين فى بدء حركتهم ، ولكنها بقى أثرها قويا الى تمام اثنتى عشرة سنةلم يتح فيها للجنود الايطالية أن تتجاوز حماية الأسطول وأسوار المدن ، ثم من بعدذلك أخذ الفناء يتسرب الى بقايا تلك الرابطة من عتاد الحرب ، وحرصت الأمة على تمسكها بموقفها أمام عدوها نخارت قواها وسرت فى جسمها عوامل الضعف ، واتخذ الطليان من الأقلية سلاحا قتلوا به الأمة شر قتلة ، وأرادت الأمة فى سنة ١٣٤١ أن توحد صفوفها ـ وكانت قبل ذلك برقة تحارب وحدها وطرابلس تحارب وحدها ـ فلجأت الى السيد ادريس وبايعته بالامارة فما أحسن قيادتها . فاضطرت الى الجلاء فملأت مابين الجزائر ودمشق . وتحصن السيد عمر المختار ومن معه بالجبل الأخضر وكان من أمره ماذكرناه آنفا . وبموته ماتت الحركة الطرابلسية وتم الأمر للايطاليين فى طرابلس ، والامر لله من قبل ومن بعد

أسر السيد عمر

من عادات السيد عمر أن يقوم باستكشاف مواقع العدو وتبييت حركاته ومعرفة ماعساه ان يقوم به من هجوم عليهم على حين غفلة، وقد تكرر هذا منه فى نفر من أصحابه لايتجاوزون الأربعين فارسا على الأكثر

و بينما هو يسير مساء يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٥٠ لهذا الغرض فى سرية من أصحابه نحو الخمسين فارسا بناحية سلنطة اذ فاجأته جيوش الطليان، وكان دودياشى حاكم المرج قد أخذ خبرا بخروج السيد عمر فى نفر قليل، فسرحله طابورين من عساكر الاريتريا، والكتيبة السابعة من الخيالة الليبيين للقبض عليه

وما ان جاء مساء هذا اليوم حتى التقى السيد عمر بطلائع العدو، فحاول هو وأصحابه الخروج من الوادى الذى هم فيه مخافة الالتفاف بهم، فاتجهوا الى ناحية أخرى، ولكن اتجاههم كان الى ناحية أتى منها قسم آخر من خيل العدو فوقعوا بين نارين، فاشتبك القتال بينهم و بين خيالة العدو رجاء أن يتخذوا لهم طريقا نحو النجاة، فأصلتهم الجنود من ورائهم نارا حامية، وقتل كثير من أصحاب السيد عمر، وقتل حصان السيد عمر فوقع به على الارض وجرح هو، و بينما هو يحاول النهوض اذ رآه احد الجنود فتقدم اليه

وقبض عليه ، و بعـد أن تحققوا من شخصيته طيروا الخبر الى دودياشى حاكم المرج فحضر فى طيارة ، وقد عرف السيد عمر لمجرد رؤيته لأنه اجتمع به عدة مرات فى المفاوضات [1] فحمل السيد عمر فى الحال الى سوسة ، ومنها أركب البحر فى الطراد اوسينى الى بنغازى ، وفى الساعة الخامسة من مساء يوم السبت ٢٩ من الشهر المذكور وصل الطراد الى بنغازى ، وأنزل السيد عمر ونقل الى السجن فى سيارة المساجين ، و بقى فيه الى يوم الثلاثاء ٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥٠ وهو اليوم المحدد لمحاكمته

محاكمة السيد عمر

وقد عقدت هذه المحكمة فى القاعة الكبرى فى مركز ادارة الحزب الفاشيستى ، وهى دار مجلس النواب السابق فى بنغازى و يسمى «الليتوريو [2]» وعند الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة من هذا اليوم جىء بالسيد عمر . وفى الساعة الخامسة والربع دخلت هيئة المحكمة ، وكانت مؤلفة من :

الكولونيل مارينونى رئيسا . ومن الاعضاء : فرنشيسكو رومانو . الماجور دليتلا . السنيور مندوليا . السنيور مانزونى . السنيور دى كريستوفرو كاتبا. و بعد اكتمال الهيئة افتتحت الجلسة ، ونودى

---

(١) انظر مادار بينهما من الحديث فى المفاوضات (ص ٧٠)

(٢) الليتوريو : هيئة الضباط الرومانيين الذين كان لهم شرف السير امام القضاة اثناء قيامهم بوظيفة العدل ، وكانوا يحملون حزمة القضبان والفأس التى اتخذها الفاشست اليوم شعارا لهم ، وقد أطلق الآن على مركز ادارة الحزب الفاشستى

بالدعوى ضد عمر المختار لاعتدائه على سلامة الدولة ، وعلى أمن البلاد ، ولقطعه الطريق . ثم نودى عليه و بوشر فى استجوابه . و بعد أن أجاب عن اسمه ، ومولده وعمره سئل عما يأتى :

هل أنت رئيس الثوار ضد ايطاليا ؟ وهل حاربت الدولة ؟ وهل شهرت السلاح فى وجه قوات الدولة واشتركت فى القتال اشتراكا فعليا ؟ وهل أمرت بقتل الجنود الذين كانوا يحرسون العمال اثناء انشاء الطرق ؟ وهل أمرت بالغزو واشتركت فيه ؟ وهل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالى ؟ فأجاب عن هذه الأسئلة كلها بالايجاب . وكانت نعم تخرج من فيه لايشوبها أى خفاء

وسئل : هل قتلت الطيارين : بياتى وأوبر ؟ فاجاب : انى بعد القبض عليهما أبقيتهما فى المعسكر وخابرت بشأنهما السلطة الايطالية ، وفى ذات يوم حصلت معركة فذهبت اليها فقتلا بعدى ولا أعلم من القاتل

وسئل عن عدد المعارك التى باشرها من سنة ١٣٢٩ فقال : لاأدرى

ثم سئل السيد عمر : هل لديك ماتقول زيادة عما تقدم ؟ فقال لا . فرفعت الجلسة وكانت الساعة السادسة تماما

وفى الساعة السادسة والربع عادت المحكمة الى الانعقاد ، وتلا الرئيس الحكم فاذا هو يثبت ادانة السيد عمر ولذلك حكمت عليه المحكمة بالاعدام

تنفيذ الحكم

وفى صباح يوم الاربعاء ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ اتخذت التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم فى السيد عمر، فأحضر جم غفير من سكان تلك الناحية والبادية القريبة منها ، وأحضر جميع المعتقلين السياسيين خصيصا من أماكن مختلفة لمشاهدة تنفيذ الحكم فى السيد عمر ، وحضر لحفظ النظام طابور ألف لهـذا الغرض من جميع أقسام الجيش والميليسيا والبحرية والطيران . وفى الساعة التاسعة تماما سلم السيد عمر الى الجلاد فوضع حبل المشنقة فى عنقه ، و بعد بضع دقائق صعدت روحه الطاهرة الى ربها تشكو اليه عنت الظالمين وجور المستعمرين . تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته ، وعوض على المسلمين خيرا مما يفقدونه من رجال أمثال السيد عمر المختار

الاستياء لقتل السيد عمر

وقع هذا الحادث المؤلم من نفوس المسلمين جميعا موقع الألم والاستنكار ، واستفظعوا أعمال الطليان بهذا البطل الذى حاربهم محاربة شريفة، ونازلهم فى ميدان الدفاع عن وطنه وجها لوجه ، وثبتت نزاهته لديهم فى عدة مواقف حتى صرح الدفاع فى جلسة الحكم عليه بالاعدام : « ان المتهم يمتاز عن بقية الزعماء بعدم ابتزاز أموال الدولة »

واحتجت جميع الأمم الاسلامية على هذا التصرف المعيب من ناحية

الطليان الذى لا يتفق مع التقاليد الدولية

ولقد قام قبل السيد عمر المختار بالدفاع عن وطنه ضد المستعمرين الأمير عبد القادر الجزائرى ، وأحمد عرابى باشا المصرى ، والأمير محمد عبد الكريم المراكشى ، وكل هؤلاء وقعوا فى قبضة أعدائهم فعاملوهم معاملة الأبطال وقواد الجيوش ، واحترموا فيهم تلك الصفات البارزة فكانوا عندهم من ذوى المكانة والاعتبار

ولم يكن الفرق بين السيد عمر و بين هؤلاء وغيرهم من رؤساء النهضة الشرقية ، فكل منهم كان مخلصا لوطنه صادقا فى دفاعه ، ولكن الفرق بين ايطاليا و بين انكلترا وفرنسا ، فان هاتين تقدران الرجال حق قدرهم ، وتعرفان للرجولة حقها وللبطولة احترامها ، مهما أمعن الثائر فى معاداتهم، أو وقف فى طريقهم . أما الطليان فلا يرعون للرجل حرمة كائنا من كان متى كانت له ميول لاتتفق مع رغباتهم، أو استعمل نفوذه ضدهم ، مهما كان محقا فى أعماله

فى سوريا

وأقيمت المآتم للسيد عمر فى دمشق وفلسطين وحيفا وطرابلس الشام وجميع المدن الشامية ، وصليت عليه صلاة الغائب فى جامع بنى أمية، ودعا الخطباء الى مقاطعة البضائع الايطالية ، وأغلقت الحوانيت . وألف الناس مظاهرات طافوا بها شوارع المدن احتجاجا على قتل السيد عمر . وظهرت جميع المدن الشامية بمظهر الحداد على هذا الرجل العصامى الذى تربطهم به

جنسية العروبة وأخوة الاسلام . وتجلت أواصر قربى العروبة فى سوريا بما لامزيد عليه . ولم تقتصر على هذا ، بل أرادت أن تخلد ذكرى السيد عمر لتبقى أمام الشبان ماثلة تذكرهم بهذه البطولة العربية المسلمة ، فسمت بلدية مدينة غزة شارعا من أكبر شوارعها « شارع عمر المختار » وسمت فلسطين كشافة مدارسها « كشافة عمر المختار » وغير هذا كثير من مظاهر عطف المدن الشامية على الطرابلسيين بما أصيبوا به فى أموالهم وأنفسهم ، و بفقد زعيمهم الذى ماتت بموته حركة دامت اثنتين وعشرين سنة كان يرجى من ورائها تحرير أمة اسلامية ، وشعب من شعوب العروبة الصادقة

وكان مما أغضب القنصل الايطالى فى القدس أن تسمى بلدية غزة شارعا من شوارعها باسم « عمر المختار » فاحتج على هذا العمل . فاجتمع حاكم غزة برئيس بلديتها الأستاذ فهمى الحسيني وذكر له اعتراض قنصل ايطاليا على هذه التسمية . فكتب رئيس البلدية الى حاكم غزة مانصه :

« لكل مدينة شعورها ، ويحق لبلدية تلك المدينة اظهار هذا الشعور . فكما أن لبلدية تل أبيب الحق فى تمجيد هرتسل و بلفور وغيرهما ممن تسىء ذكراهم غير اليهود فلبلدية غزة أن تمجد الشخص الذى يحمل له الأهلون فى قلوبهم أطيب الذكرى وأسمى معانى الاحترام . فاذا كانت ذكرى الشهيد عمر المختار تسىء الى ايطاليا فذلك ما اقترفته

ايطاليا نفسها لا ببلدية غزة ، لذلك فانني أعتقد أن اعتراض قنصل دولة ايطاليا في غير محله ، واقبلوا فائق احترامي »

٢٠ رمضان سنة ١٣٥٠ فهمي الحسيني

رئيس بلدية غزة

في تونس

وكانت الحال في تونس شبيهة بما ذكرنا في سوريا . فأقيمت صلاة الغائب في تونس على السيد عمر يوم الجمعة ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ وتليت آيات الذكر الحكيم لروحه . وأقام الحزب الحر الدستوري في تونس حفلة تأبين كبرى للسيد عمر حضرها كثير من الأعيان والوجهاء، وتبارى الخطباء في ذكر مناقب الفقيد وما أبداه من ثبات في الدفاع عن وطنه

وقد تليت في هذا الحفل الحاشد قصيدة لشاعر الشباب التونسي السيد محمود أبي رقيبة يرثي بها السيد عمر المختار منها :

مضى عمر المختار لله رافلا
بثوب نقي حيك من خالص الطهر
مضى عمر المختار لله بعدما
قضى الواجب الأسمى بأعلى ذرى الفخر
مضى عمر المختار لله هانئا
سعيدا شهيدا وانطوت صفحة العمر

مخلفـة للعـالمين مآثرا
هى الغرر البيضاء فى جبهة الدهر
ومن دمه المسفوك سطر آية
سيحفظها التاريخ بالحمـد والشـكر

وكان هذا المأتم مظهرا من مظاهر الاخوة تجلت فيه عواطف المحافظة على حقوق الجار ، وبرهانا من اخواننا التونسيين على مافى نفوسهم من عطف عرفناه لهم منذ بدء حركة الجهاد فى طرابلس

فى مصر

وقد قامت مصر بدورها تندد بأعمال الايطاليين فى طرابلس وتحتج على قتل السيد عمر ، وقـد ظهر التأثر لقتل السيد عمر على جميع مافى مصر: صحافتها ، وجمعياتها ، وطلابها ، وشعرائها ، وكثير من شخصياتها البارزة ، حتى على الفلاح فى كوخه والمزارع فى حقله

ولقد كان لجمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الاسـلامية وجمعية مكارم الأخلاق موقف ازاء هذا الحادث كان كـكل مواقفها المشرفة ازاء ماينتاب المسلمين مما يحتاج الى تنبيه الأفـكار والدعوة الى توحيد الصفوف مما كان له الأثر المحمود فى النهضة الشرقية

وان أكبر حفـل أعد فى مصر لاحياء ذكرى السيد عمر المختار هو ذلك الحفل الذى أعده حضرة صاحب السعادة حمـد الباسل باشا فى منزله بسراى القبة بمصر يوم الخميس ٢ رجب سنة ١٣٥٠ دعا لحضوره

الأمراء والوزراء ، وأعيان الكتاب والشعراء ، ووجهاء السوريين ، والمفكرين من الشرقيين عامة ، وكان هذا الاحتفال يعلوه جلال المدعويين ومهابة المحتفل به

و بينما المدعوون على وشك الوصول الى محل الاحتفال اذ صدرت الأوامر بمنعه ، وأحيطت دار حمد الباسل باشا بسياج من الجنود يمنعون الوافدين من الدخول اليها ، وقد بذل سعادة الباسل باشا قصارى جهده للاحتفاظ بحقه فى اقامة هذا الاحتفال ، ولكن شاء الله خلاف ما أراد ، ولعبت السياسة دورها قاتلها الله ، ونحن نكتفى بنشر المهم مما أعد ليقال فى هذا الاحتفال العظيم تأبينا لبطل طرابلس الغرب

كلمة حضرة صاحب السمو

الأمير الجليل عمر طوسون

حضرة صاحب السعادة حمد الباسل باشا

ان الموتة الشنعاء والقتلة النكراء التى راح فيها الزعيم العربى الكبير، والمسلم الصادق المجاهد الخطير السيد عمر المختار ضحية حبه لبلاده، وذوده عن شرفه و وطنه لم يزل أثرها العميق ولن يزال فى قلبنا وقلب كل شرقى داميا ثارا. والدم الزكى الذى أهريق من هذا الشهيد العظيم دم غير مطلول مادام فى الشرق والشرقيين عرق ينبض وعين تطرف، فقيامكم برثائه وتأبينه فى حفل حافل يليق بمقام هذا الرجل الكريم يقابل منا ومن كل ذى شعور حى بأجزل الشكر وأوفر الثناء، لانكم بذلك قمتم بالمفروض علينا نحن المصريين جميعا له ولاخواننا المجاهدين الطرابلسيين الذين لم تكل سواعدهم فى الدفاع عن وطنهم طوال هذه السنين، ولم يتطرق الخور الى نفوسهم من عدوهم القوى وعدده وعدده، حتى أصبحوا بحق مضرب المثل فى الشجاعة والاقدام، والصبر على المجاهدة وايثار الوطن على النفس والمال، فتصوروا كيف تكون غيبتنا عن مشاهدة هذه الحفلة التى نصبو اليها من صميم قلبنا داعية لأسفنا، ولكنها الأعذار الملجئة

تحول بين المرء وما يشتهى ، فنرجو أن يكون فى هذا الكتاب مايعبر عن اشتراكنا معكم فى هذا العمل الجليل أصدق تعبير

واننا ننتهز هذه الفرصة فنهديكم وجميع المشتركين معكم فى هذا الواجب أطيب التحية والسلام

٩ نوفمبر سنة ١٩٣١ عمر طوسون

كلمة حضرة صاحب السعادة

حمد باشا الباسل

سادتى الأجلاء

شكرا للأمير عمر على نبيل عاطفته ورقيق كلمته . ثم شكرا جزيلا لكم لما تجشمتم من مشقة الحضور الى هنا لمشاركتنا فى احياء ذكرى الشهيد الكبير عمر المختار ، وشكرا كثيرا للمثل الأعلى الذى ضربتموه لكل أمم الشرق فى احتفائكم به والاشادة بذكراه ، ولكن لاعجب فأنتم فخر مصر وصفوة العرب ورجالات الشرق العاملين

أيها السادة

ليست صلة القربى ، ولا أواصر النسب ، ولا عروة الأسرة التى تجمع بين الماثل أمام حضراتكم وبين الشهيد العظيم هى التى دفعتنى الى التقدم برغبتى فى تفضلكم بالمشاركة فى الاحتفاء بذكراه والترحم عليه

كلا أيها السادة ، انما كان الحافز والدافع علاقة أسمى وأنبل ، ورابطة أعلى وأفضل . تلك هى صلة قرباكم أنتم رجال مصر ، وزعماء الشرق وحماة الاسلام ، وكماة العرب بالشهيد العظيم . أجل انها صلة قرباكم أنتم به أو قرباه بكم ، هى وحدها سر اجتماعنا لنقدس فيه وفيكم تلك المعانى

السامية التى تر بطكم به وتحيونها فيه ، من حب للبلاد عظيم ، وشجاعة فى الحق لاتخمد ، و وفاء وأمانة وصبر وثبات واقدام وتضحية

تحيون فيه هذه الصفات لانكم تر ونها فيه وفى أنفسكم ، انها هى دعائم الحياة وسر الوجود ، ففى ذكرها حياة وفى طمسها موت

وما كان عمر المختار ممن يعملون للعاجلة، وما كان ممن يسلب نهاهم حطام الدنيا وفتنتها ، بل لقد خرج عنها كما دخل فيها الا بذكرى الجهد الجهيد ، والكفاح الشديد والاثر المجيد . ثم بالموت شهيدا ولسان حاله يقول:

ولست أبالى حين أقتل مؤمنا على أى جنب كان فى الله مصرعى

أجل أيها السادة جهابذة العرب وصناديد الاسلام هذه هى صلة القربى الدائمة التى تصل أرواحكم بروحه وحياتكم بحياته ودماءكم بدمائه ، فما مات من أنتم ذاكروه ، ولا قتل من أنتم ناصروه

أيها السادة :

انا لا اريد أن أتعدى بكلمة الافتتاح على حقوق حضرات الخطباء المبرزين والشعراء القادرين وأصدقاء الشهيد العظيم الذين يتحدثون بما لهم من صوت أعلى وموهبة أسمى . وقصارى القول ان تاريخ الجهاد الوطنى سيسجل فى صفحته الباقية للازمنة القادمة صحيفة عمر المختار ناصعة وضاءة

وسيسجل التاريخ أن عمر المختار الذى حارب اثنين وعشرين عاما فى قلة عدد وعدد، وقلة مال ورجال، وفى منطقة لاتتجاوز بضعة أميال كان

شريفا فى وطنيته ، شريفا فى ذوده عن بيضته ، شريفا فى معاملة أعدائه وخصومه ، شريفا فى حومة الوغى . وكان قنوعا عيوفا ذا مروءة وحزم وصبر وجلد ، وكان نبيلا فى وسيلته كما هو نبيل فى غايته ، وجماع القول أنه كان يعمل للوطن الخالد لا للطارف والتالد ، وأخيرا كان حقيقا باحتفائكم يا رجال النهضة والحرية والاستقلال

وأنت ياروح عمر . . . اسمعى وأنت ترفرفين علينا من ملئك الأعلى حكم الله ، فى كتاب الله ، لجهادك فى سبيل الله :

« فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب »

مرثية أمير الشعراء

أحمد شوقى بك

وَرَكَزُوا رُفَاتَكَ فى الرِّمَالِ لِوَاءً
يستنهض الوَادِى صباحَ مساءَ

ياوَيْحَهم : نصبُوا منارًا مِن دَمٍ
تُوحِى إلى جيلِ الغدِ البغضاءَ

ماضرَّ لو جعلوا العَلَاقة فى غدٍ
بينَ الشُّعوب مودَّةً وَإخاءَ ؟

جُرْحٌ يصيحُ على المدى وضحيةٌ
تتلمَّسُ الحرِّيَّةَ الحمرَاءَ

يأَيُّها السيفُ المجرَّدُ بالفلَا
يكسو السيُوفَ على الزمانِ مَضاءَ

تلكَ الصَّحارَى غِمْدُ كلِّ مُهنَّدٍ
أَبْلى فأَحسنَ فى العدوِّ بلاءَ

وَقبورُ مَوْتَى مِنْ شباب أُمَيَّةٍ
وَكُهولِهِمْ لَمْ يَبْرَحُوا أَحْياء

لَوْ لاذَ بالجوْزَاءِ مِنهُم مَعْقِلٌ
دَخَلوا على أَبْرَاجِهَا الجوْزَاء

فَتحُوا الشمالَ سُهُولَهُ وَجِبالَه
وَتَوَغَّلوا فاستَعْمَرُوا الخضرَاء

وَبَنَوْا حَضارتَهُمْ فَطَاوَلَ رُكنُها
دَارَ السَّلَام (١) وَجِلّقَ (٢) الشَّماء

خُيِّرْتَ فاخترْتَ المبِيتَ على الطَّوَى
لَمْ تبنِ جاهًا أَوْ تَلُمَّ ثَرَاء

إنَّ البطُولَةَ أَنْ تَموتَ مِنَ الظما
لَيْسَ البُطُولةُ أَنْ تعُبَّ المَاء

أَفْرِيقيا مَهْدُ الأُسُودِ وَلحدُهَا
ضَجَّتْ عَلَيْكَ أَرَاجِلًا وَنِساء

وَالمُسلمُونَ على اختِلَافِ دِيارِهِمْ
لا يَمْلِكُونَ مَعَ المُصابِ عزَاء

---

(١) دار السلام: هي بغداد (٢) جلق : هي دمشق

وَالجاهِلِيَّةُ مِنْ وَرَاء قُبُورِهِمْ
يَبكُونَ زَيْدَ الخيْلِ وَالفلحاء(١)

* * *

فى ذِمَّة الله الكرِيم وَحِفْظِه
جَسَدٌ ببرْقَة وُسِّدَ الصَّحْرَاء

لم تُبْقِ مِنه رَحَى الوَقائع أعظُمًا
تَبْلى وَلم تُبقِ الرِّماحُ دِماء

كَرُفاتِ نَسْرٍ أَوْ بَقِيَّةِ ضَيْغَمٍ
باتَا وَرَاءَ السَّافيَات هَبَاء

* * *

بَطَلُ البدَاوَة لم يكُنْ يَغزُو على
« تَنْكٍ »(٢) وَلم يكُ يَرْكَب الأَجوَاء

لكِنْ أَخُو خَيْل حَمى صَهَوَاتها
وَأَدَارَ مِنْ أَعْرَافهَا الهَيْجاء

* * *

---

(١) الفلحاء: لقب عنترة العبسى (٢) تنك: هى الدبابة المستعملة فى الحروب

لَبَّى قَضاءَ الأرْض أَمْس بمُهْجَةٍ
لم تَخْشَ إلا للسَّماء قَضَاءَ

وَافاهُ مَرْفُوعَ الجبين كأنَّهُ
سُقْرَاطُ جَرَّ إلى القُضاة رِدَاء

شَيْخٌ تَمَالَكَ سِنَّهُ لم يَنْفَجِرِ
كالطِّفْلِ مِن خَوْف العِقَاب بُكاء

وَأَخُو أُمورٍ عاشَ في سَرَّائها
فتَغَيَّرَتْ فَتَوَقَّعَ الضرَّاءَ

الأسْدُ تَزْأَرُ في الحديد، وَلَنْ ترى
في السِّجْن ضِرْغاماً بكى استِخْذَاءَ

وَأَتَى الأسيرُ يجُرُّ ثِقْلَ حَدِيدِه
أَسَدٌ يُجَرِّرُ حَيَّةً رَقطَاءَ

عَضَّتْ بِسَاقيْهِ القُيُودُ فَلَمْ يَنُؤْ
وَمَشَتْ بهيكَلهِ السُّنونُ فَنَاءَ

سَبْعُونَ لو ركبت مَنَاكِبَ شَاهِقٍ
لترَجَّلَتْ هَضَبَاتُهُ إعْيَاءَ

خفيَتْ عَلَى القَاضِى ، وَفَاتَ نَصِيبُهَا
مِنْ رِفْقِ جُنْدٍ قَادَةٍ نُبَلاءَ
وَالسِّنُّ تَعْطِفُ كلَّ قَلبٍ مُهَذَّبٍ
عرفَ الجـدُودَ وَأَدْرَكَ الآبَاءَ

* * *

دَفعُوا إلى الجَلَّادِ أَغْلَبَ مَاجِداً
يأسُو الجراحَ وَيُطْلِقُ الأُسرَاءَ
وَيُشَاطِرُ الأَقْرَانَ ذُخْرَ سِلَاحِهِ
وَيَصُفُّ حَوْلَ خِوَانِهِ الأَعْدَاءَ
وَتَخَيَّرُوا الحَبْلَ المَهِين مَنِيَّةً
لِلَّيْثِ يَلْفِظُ حَوْلَهُ الحَوْبَاءَ
حَرَمُوا المَمَاتَ على الصَّوَارِمِ والقَنَا
مَنْ كَانَ يُعْطِى الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ
إنِّى رَأَيْتُ يَدَ الحَضَارَةِ أُولِعَتْ
بِالحَقِّ هَدْماً تَارَةً وَبِنَاءَ
شَرَعَتْ حُقُوقَ النَّاسِ فى أوْطَانِهم
إلا أُبَاةَ الضَّيْمِ والضُّعَفَاءَ

* * *

يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ القَرِيبُ أَسَامِعٌ
فَأَصُوغَ فِى عُمَرَ الشَّهِيدِ رِثَاءَ

أَمْ أَلجمَتْ فَاكَ الخُطُوبُ وَحَرَّمَتْ
أُذُنَيْكَ حِينَ تُخَاطَبُ الإِصْغَاءَ

ذَهَبَ الزَّعِيمُ وَأَنْتَ بَاقٍ خَالِدٌ
فَانْقُدْ رِجَالَكَ وَاخْتَرِ الزُّعَمَاءَ

وَأَرِحْ شُيُوخَكَ مِنْ تَكَالِيفِ الوَغَى
وَاحْمِلْ عَلَى فِتْيَانِكَ الأَعْبَاءَ

شوقى

مرثية شاعر القطرين

خليل بك مطران

أَبَيتَ ، والسيفُ يعلو الرأسَ ، تسليما
وجُدتَ بالروح جودَ الُحر إن ضِيما

تُذكَّرُ العُربَ والاحداث منسيةٌ
ما كان ، إذ مَلكوا الدنيا ، لهم خِيما

لله يا عمرَ المختار حكمتُه
فى أن تُلاقىَ ما لاقيتَ مظلوما

إن يقتلوك فما إن عجّلوا أجلا
قد كان ، مُذ كنتَ ، مقدوراً ومحتوما

هل يملكُ الحىُّ ، لو دانت لهُ أممٌ ،
لأمر ربك تأخيراً وتقديما

لكنّها عِظةٌ للشرق أوسعَها
مصابُه بك فى الإخلاد تجسيما

لعـله مستفيقٌ بعـد هَجْعتِه
أو مستقيلٌ من الخسف الذى سِيما

أجـدِرْ برزئك لم تحـذَر عواقبه
أنْ يفجع العربَ تخصيصا وتعميما

وأن يؤجِّجَ ناراً من حميَّتهم
وأن يَرُدَّ فِرِنْدَ الصَّـبر مثلوما

هيهات نُوفيك ، والأقوالُ عدتُنا ،
حقـّاً ونوفى الصناديدَ المقـاحيما

من الألى صبروا الصبرَ الجميلَ وقد
ذاقوا الـكَريهين : تقتيلا وتـكْليما

لعل أشقاهمُ البـاقى على أسف
وعل أروحَهم مـن قرَّ مرحوما

قد أثَّمُوكم وكم من مُثْـلة نزلت
بالابرياء وبالأبرار تأثيما

وإنمـا ذنبُـكم ذنبُ الألى جعلوا
صدقَ الهوى للحمى دينـاً وتعليما

امضُوا رفاقًا كرامًا حسبُكم عِوضًا
فخرٌ عزيزٌ على الخطَّاب إن رِيما

قد سرتمُ فى سبيل الخير سيرتَكم
مُحَقِّقين رجاء خِيلَ موهوما

لاحا كمًا دون ما أوجت ضمائرُكم
تراقبون ولا ترعون محكوما

يحطِّم العظمُ منكم دون بُغيتكم
فما تهون ويأبي العزمُ تحطيما

ليس الارادةُ إلا من يكون على
رأى ومن يتناهى فيه تصميما

* * *

ما السجن ؟ حين يُذادُ الخسفُ عن وطن
بعاره باء فى الأوطانِ موصوما

يُغنى من الشمس فى أعماق ظُلْمته
برقٌ من الأمل الْمَوْمُوق إن شِيما

عَدْنٌ على طيبها لو شِيب كوثرُها
بِظل باغ لعاد الوِردُ مسموما

ما الموتُ ؟ إن تك منجاةُ البلاد به
من غاصب وانتصافُ الشَّعب مهضوما

هـذا هو العيشُ والقسط العظيمُ به
من خالد الفخر فوق العُمْر تقويمـا

إنَّ الفِـداء لأغلى ماحَمـدت له
أُخرى وإن كان فى أُولاه مذموما

وما اعتـدالُ زمانٍ لايقوِّمُه
بنوه بالصـبر والاقدام تَقويمـا

***

ياسادةً أطلعت مِصرٌ بهم شهبا
والليـلُ خيَّم بالاحـداث تخييما

فمـا ونوا للحمى عن واجب وبَنَوْا
للمجد فيـه طرافا كان مهدوما

أعزَّةً إنْ بدا من فضلهم أثرٌ
فـكم لهم من جميل ظَلَّ مكتوما

وللفـدى كالنـدى حالٌ منزَّهة
فى حكمها ينفس المجهولُ معـلوما

شاركتم الجـارَ فى خَطب ألمَّ به
وما ادخرتم لشيخ العُرب تـكريمـا
كذا تُكافِئُ مصرُ العـاملينَ بمـا
يعـدو الأمانىّ تمجيداً وتعظيما
أكرم بهـا وهى تحنى الرأسَ هاتفة
تحيـةً أيهـا القتلى وتسليما

خليل مطران

بعد موت السيد عمر

كان مع السيد عمر رجال من رؤساء القبائل يديرون معه شئون القتال وأمور المجاهدين ، وفى مقدمة هؤلاء الشيخ يوسف بورحيل المسمارى ، والشيخ عبد الحميد العبار . وقد اجتمع رؤساء الجند وأعيان المجاهدين بعد موت السيد عمر وتشاوروا فى من يخلفه فى الزعامة فاتفقت كلمتهم على أن يخلف السيد عمر فى زعامته الشيخ يوسف بورحيل المسمارى ، وقد قبل الشيخ يوسف ما كلف به ونهض لتكميل ذلك البناء الذى أسس قواعده السيد عمر ، وحف من حوله أولئك الأشبال الذين كانوا يحفون معه بالسيد عمر . ورأى العدو أن غمز قناة المجاهدين بعد موت السيد عمر أصبح ميسورا له ، فضاعف قوته ووالى هجماته بكل ماعنده من أنواع السلاح ، ودافع المجاهدون عن أنفسهم دفاع المستميت ، وانقضت أربعة أشهر بعد موت السيد عمر لم ينقطع فيها القتال يوما واحدا . ولكن انضم الى قوة الطليان قوة أخرى لا تمكن مقاومتها ، تلك هى قوة الجوع ، فان سد المسالك على المجاهدين وقطع الصلة بينهم وبين جميع العالم أثر فيهم تأثيرا سيئا من جهة الجوع ، فكنت ترى الرجل واقفا أو ماشيا لا يلبث أن تعتريه دوخة من شدة الجوع واذا به ملقى على الارض ، فلم تمض أربعة شهور على قتل السيد عمر حتى اشتدت بهم المجاعة وعجزوا عن الدفاع فقرر من بقى منهم

الالتجاء الى مصر ، فسار الشيخ عبدالحميد العبار والشيخ يوسف بورخيل وعثمان افندى الشامى فى نفر من المجاهدين من ناحية الجنوب ، وكثير من المجاهدين ذهبوا من ناحية الشمال ووجهة الجميع الحدود المصرية ، وبعد ثلاثة أيام فارقهم عثمان افندى الشامى بقصد الاستسلام الى الطليان فسلم نفسه فى عين الغزالة يوم ٦ شعبان سنة ١٣٥٠ ، وبقى كثير من المجاهدين بالجبل الأخضر آيسين من حياتهم ومنتظرين الموت اما بالجوع أو برصاص العدو

وقد بلغ الطليان أن رؤساء المجاهدين غادروا الجبل الى الحدود المصرية ، ولم يتحققوا هذا الخبر الا فى أول يوم من شعبان سنة ١٣٥٠ اذ تمكنوا من أسر محمد خير الله رئيس فرقة العبيد وهو فى أثناء مجيئه الى مصر فعلموا منه صدق الخبر ، فحشدوا قوة كبيرة على الحدود المصرية ممتدة مع الأسلاك الشائكة بين كل جندي وآخر مائتا متر ، ومعها عدد كبير من السيارات المدرعة ، وبقوا يترصدون قدوم المجاهدين الى ليلة ٤ منه ، وفى هذه الليلة وصل الحدود قسم من المجاهدين من بينهم الشيخ يوسف بورحيل ، فاعترضهم الايطاليون وحصلت بين الفريقين معركة حاول أثناءها المجاهدون اجتياز الأسلاك الشائكة ولكن كثرة الجنود الايطالية حالت دون ذلك ، فاضطر الشيخ عبد الحميد العبار فى نفر الى الرجوع ناحية الجبل وبقى الشيخ يوسف بورحيل منتظرا غفلة العسس الايطالى ليجتاز الحدود ، ولكنه عثر عليه يوم ٩ شعبان سنة ١٣٥٠ فى

أربعة من أصحابه، فتركوا خيولهم وتحصنوا بغارة ودافعوا عن أنفسهم حتى قتلوا أربعتهم عليهم رحمة الله . وقد أعجب الايطاليون ببسالة الشيخ يوسف بورحيل فقالوا فى بلاغهم مانصه :

« وقد أظهر يوسف بورحيل ورفقاؤه الثلاثة بسالة مدهشة حتى آخر دقيقة من حياتهم، وعند ماسكت البارود من جهة المغارة تقدم نحوها التننتى بر يندزى فوجد فيها أربع جثث لم تزل البنادق حامية فى قبضة اليد . وهكذا انتهت حياة الرئيس العظيم البرقاوى أحد تلاميذ مدرسة جغبوب القرآنية ومستشار عمر المختار »

وهــذه شهادة من الطليان بشهامة الشيخ يوسف بورحيل وحسن بلائه فيهم الى آخر لحظة من حياته

أما الشيخ عبد الحميد العبار فقد عاد مرة ثانية الى الحدود فى نفر نحو الخمسين رجلا واجتاز بهم الأسلاك الشائكة ودخلوا الحدود المصرية فى منتصف شهر شعبان سنة ١٣٥٠ لا بواسطة وضع الخيام على الأسلاك الشائكة كما يقول البلاغ الايطالى ، ولكن بواسطة مقصات كانت معهم معدة لقطع الأسلاك . ولكن البلاغ الايطالى ضلل هذه الحقيقة ، وخاف كاتبه أن يذكر أن لدى المجاهدين مقصات فيتذكر أن لديهم مدافع و بنادق ومتراليوزات من أحدث طراز من السلاح الايطالى مما غنمه المجاهدون فى ميادين القتال فتسوءه هذه الذكرى المؤلمة

فهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	صفحة

تصحيح

اقرأ فى	ص	١٥	س	١١	١٣٣٠ وانتهت
«	ص	٨٩	س	١٥	هذا مما يؤيد
«	ص	٩٣	س	١٠	انما هو بث
«	ص	١٠٣	س	١٥	سنة ١٩٣٠ حتى أواخر

تاريخ طرابلس الغرب

للأستاذ العلامة أبى عبد الله محمد بن خليل غلبون

خير ما ألف فى تاريخ طرابلس الغرب من لدن الفتح الاسلامى الى أيام أحمد باشا القره مانلى فى المائة الثانية بعد الألف. جمع فيه مؤلفه ما وقع فى طرابلس من أحداث وما تعاقبت عليها من دول. وقد عنى بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه الشيخ الطاهر أحمد الزاوى

يطلب من مكتبة

عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر

صندوق بوستة الغورية رقم ٢٦

